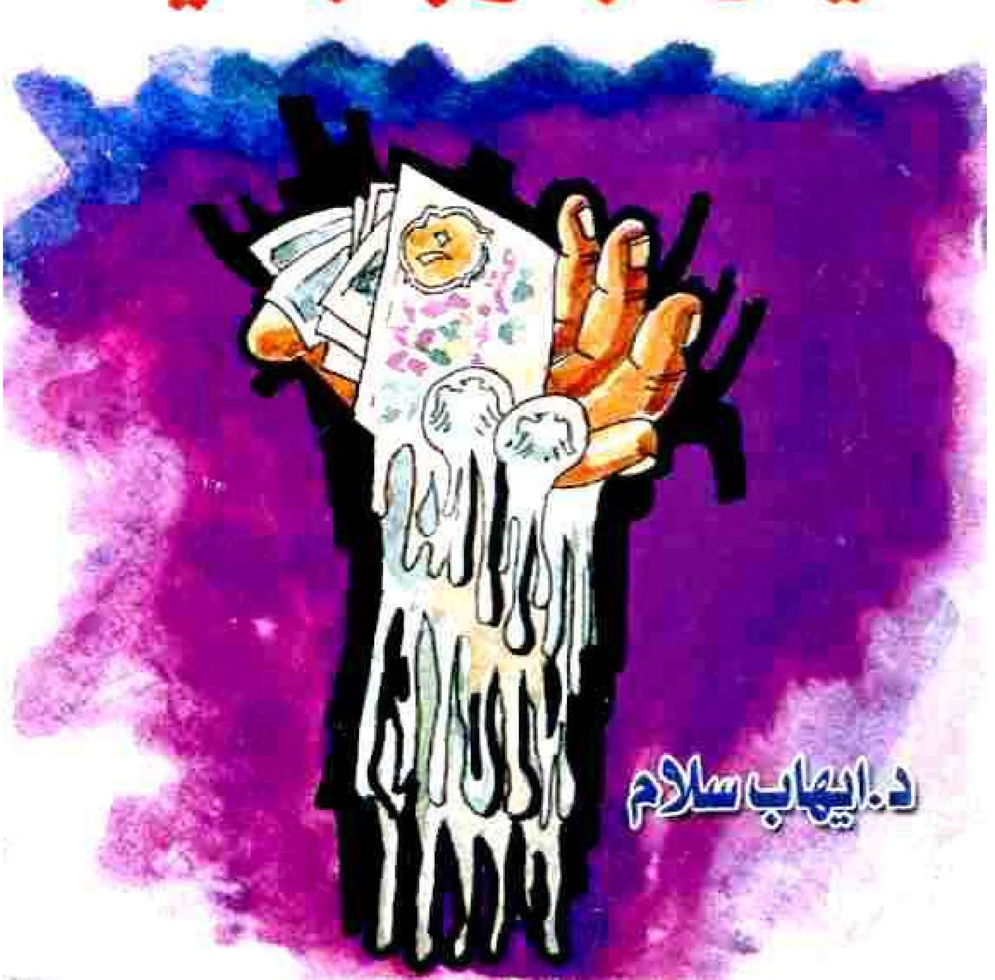
الخداع

يعود بثوب جديد



د. ايهاب سلام

الخـــداع
يعـــود بثـــوب جـديــــد

د. إيهاب سلام

روايـــــة

رقـــم الإيـداع: ٤١٢٥ / ٢٠٠٢
الترقيـم الدولـــى: ٥-٢٢٨-٢٨٧-٩٧٧

دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع

٥٠ شارع الشيخ ريحان – الدور الأول – شقة ١٢

عابدين – القاهرة ☎: ٧٩٥٤٢٢٩

E-Mail: sbh@link.net

(١)

استيقظت عند الغسق مرتعدة. هذه أول ليلة تقضيها في هذه الحجرة الكئيبة. بعد أن دحرت من فردوسها. حوش كبير على جوانبه حجرات. وله دورة مياه واحدة من عدة أركان. لقد خرجت مقهورة مدحورة من قصرها. نصب عليها الزوج المحترم بل غير المحترم. استخلص منها توكيلا نهب به كل أموالها. ثم أعلنها أنها لم تعد تملك شيئا. وأنها لم تعد تلزمه. لقد استنفد أغراضه منها .. وعليها أن تغادر. أشفقت أم حسني عليها فأخذتها معها إلى حوش تقيم فيه. كانت هناك حجرة خالية يسكنها عجوز ودع الحياة. ورحل غير آسف عليها. طارده الفقر من الصغر حتى شاخ، وظل الفقر فتيا يمرح في حياته، والرجل يهرم. إنه مات موتا إلهيا، فارقت الروح الجسد بعد شيخوخة طويلة. لم يمت مقتولا. ولم يمرض بمرض. حجرته نظيفة كالفل. هكذا قالت أم حسني خادمتها الوفية. وكتب عليها منذ ذلك اليوم الفقر الأبدي. كيف وافقت على ذلك الرجل النصاب؟ .. كيف سلمت ذقنها إلى سيفه ليبتر عنقها. وتعيش دون سند. ألم يكن من المستحسن أن لا تدخل دنيا الزوجية وتبقى عانسا إلى أن تموت.

تبكي حظها المنكود.

تطرق الباب أم حسني. تسأل: يا ست روحية .. هل أنت مستيقظة؟

تقول: نعم .. متيقظة .. نمت قليلاً ..

تفتح لها الباب، وهي تجفف دموعها، تسألها أم حسني: أتبكين؟ ..

"ماذا أفعل غير البكاء".

يتدخل رجل طويل القامة، عريض الصدر، أهم ما يميزه رثاثة الثياب، ونقنه غير الطويلة التي تلتف حول عنقه كخرقه سوداء بها شعر أبيض بالية: البكاء لا ينفع دون عويل.

تضربه أم حسني في صدره وتقول: جئت لتبرد نارها .. فتزيدها إضراماً.

يقول الرجل ضاحكا: أنا أضاحكها فقط يا أم حسني .. أسري عن السيدة روحية.

تقدمه لها وهي تقول: هذا هو عبده الحدق .. جئت به لينقذك من المصيبة الكبرى.

سألت: كيف سينقذني يا أم حسني .. التوكيل عام وسليم. وسألت محامياً أجاب بأن تصرفات الموكل سليمة. فقد نقل ملكية كل ما أملك له. وطرده لي .. طرداً من أملاكه .. خاصة بعد أن طلقني وليس لي ولد منه. أما مسألة النفقة فإذا لم يعطها لي بالحسنى فلا سبيل أمامي غير القضاء. أرفع قضية وأطالب بها.

قال عبده الحدق ساخراً: هذا محامي سكة.

"سكة .. ما معنى ذلك؟ ..".

قال وهو يدعك ذقنه النابتة بغير تناسق، وهم يدخلون معا إلى داخل الحجرة، ويجلسون على البساط المفروش في جزء منـــها: أنـــا مـــن الممكن أن أعيد لك كل أموالك لكن ذلك يحتاج إلى صبر .. "كيف؟ .."

"مثلما دخل عليك بالحجل والمنجل. ندخل عليه - أقصد طليقـــك - بالحجل والمنجل. دعيني أقدم لك نفسي. أنا عبده الحـــدق .. محـــام .. ولو أن ليس لي مكتب. أعمل في المحاماة منذ ثلاثين سنة. ولم أخســـر قضية في حياتي. لا أعمل من خلال المحاكم. إنمـــا أعمـــل خـــارج المحاكم .. أومن بأن الحق لو لم تسنده القوة، فسوف يضيع .."

تقاطعه سائلة: هل سنؤجر عليه فتوات يا سيد عبده؟ ..

قال: ومن قال ذلك؟ ..

"أنت الآن تقول: الحق لو لم تسنده القوة ..."

يقاطعها: أقصد هنا قوة الحجة.

تسأله: إذن ماذا أنت بفاعل؟ ..

يقول: سوف تبيعين لي كل ما تملكين ..

تضحك، وتصفق بيديها مستغربة كأنها تتحسر: وهل أنا أملك شيئا؟ ..

يقول: اسمعيني يا روحية هانم. أقصد ما كنت تملكيـــن. وســـأعيده إليك بشرط ...

قالت أم حسني معترضة: سندخل في الشروط يا سيد عبده.

قال، وهو يلتفت لأم حسني، وقد تربعت على البساط وهي تتألم من جلستها: وهل أعمل دون أجر يا أم حسني .. أنا ماكينة تأكل وتشرب وتلبس وتسكن .. كل ذلك بمقابل .. فهل أعمل دون مقابل؟ ..

قالت روحية متدخلة: لا بأس ما هي شروطك؟ ..

قال: لي عشرة في المائة من كل الأموال التي سترد إليك. طبعا سوف يكون النصاب قد صرف منها ولن تعود إليك كلها .. ولكن سيبقى منها الكثير مثل العقارات والأطيان.

تقول أم حسني مقاطعة: أصلي أنا فطمته على كل شيء يا ست روحية .. كنت أنتظر حتى عاد بعد الفجر. والتقطته ورويت له ما حدث لك.

قالت روحية: لا بأس يا أم حسني .. ليكن له عشرة في المائة. على الأقل أفك من هذه العيشة.

يقول عبده الحدق: سوف تندمين فيما بعد على هذه العيشة .. وتتمنين راحة البال.

تبتسم روحية لمداعباته: رجل ظريف فكه.

تسمعه يقول: سوف تكتبين لي عقودا ببيع كل ممتلكاتك بتاريخ سابق على الزواج وسابق على الوكالة التي أعطيتها لزوجك. وسوف نكتب ورقة ضد – كما تسمى – نقول فيها إن كل هذه العقود صورية لم تحدث حتى لا تظني أنني لص .. أريد أن أسرق نقودك من طليقك .. ثم أقول لك باباي سيدتي ..

تضحك وتنظر إلى أم حسني وتقول: لطيف ذلك الرجل.

تقول أم حسني: مخه كبير .. ولكن حظه قليل.

يقول عبده الحدق: هكذا العظماء يا أم حسني.

ثم يسأل روحية: هل لديك كشف بكل الممتلكات .. وكل أبعادها ومواقعها وحدودها.

تشير إلى حقيبة في ركن الحجرة وتقول: كل الحجج والمستندات والوثائق في هذه الحقيبة وقد سمح لي أن آخذ ملابسي فوضعتها في تلك الحقيبة على أنها ملابسي.

يقول لها: الأنيقة.

تضحك وتستطرد: ولعله لو اكتشف أن الحجج معي لاستولى على الحقيبة.

يسأل عبده الحدق: وهل كان يعرف الأبعاد والمواقع والحدود للعقارات والأطيان.

ترد روحية: يبدو ذلك.

يقول عبده الحدق: اتركيني أذهب الآن إلى النوم. وحينما آخذ قسطي منه آتي إليك ونبدأ العمل.

ترد قائلة: وهو كذلك.

(٢)

يصادف عبد الحدق أبا حسني عائدا من الجامع، يبادره أبو حسـني قائلا: ألا تركعها أبدا يا عبده؟

يرد عليه في كبرياء: أنا أركعها في حجرتي.

يتساءل: ولم لا تركعها في المسجد.

يقول: أنا حر ..

يعنفه أبو حسني قائلا: لا .. لست حرا .. لقد وسوس الشيطان إليك ألا تصلي مع الجماعة.

يتهكم قائلا: ومن هو الشيطان؟ ..

يقول متضايقا: ألا تعرفه .. إنه ذلك الذي يأتيك ليـلا أو نـهارا، يحرضك على ارتكاب الموبقات وتسمع كلامه وترتكبها.

يقول عبده الحدق وهو يلعب في ذقنه: أنا لا ارتكب الموبقات. أنـا اعمل الخير على طول الخط. إنني منذ قليل كنـت أخطـط لتسـتعيد السيدة روحية كل ثروتها التي نهبها منها زوجها النصاب ..

يقول: ولكنك لا تفعل كل الخير .. أنت لا تصلي مع الجماعـة .. ولا تصوم .. ولا تزكي.

يرد قائلا: أما الصلاة فلا شأن لك بها. وكذلك الصوم فالله يجزي عنه. هل رأيتني يوما فاطرا .. والزكاة من أين. الفقراء يقبلون الصدقة ولا يزكون.

يتحمس أبو حسني لكلامه ويقول: مازلت مقتنعا أنك تسير على خطى الشيطان يا سيد عبده فحاول أن تستقيم.

ثم يستطرد: يجب أن تقتنع أن الإنسان لا يرتكب الخطيئة، تلك التي تعارف الناس عليها أنها خرق للقانون والعرف، لابد أن شيئا وسوس له، وجعله يندفع ويرتكب الموبقات.

يسأله عبده الحدق: لكن أين هو ذلك الذي يوسوس؟ .. ألا ترى أنه غير موجود. ألا ترى أنه من نسج خيالك .. ألا تجلس الساعات تحاور نفسك وتحاورك؟ حقا إن أحدا لا يسمع حوار النفس. وإلا اتهمك الناس بأنك مجنون لكن حوار النفس موجود. وهذا ما تزعم أنه يوسوس لك ليس له وجود. إنما أنت توسوس إلى نفسك.

يقول أبو حسني، وقد بدأت علامات الغضب تظهر على وجهه: لا .. هذا كذب. ذلك بهتان. هناك من يكلمني. حقا صوته غير مسموع لكن يبدو أن لديه قدرة على أن يدخل في جسدي. ويحاول أن يخترق سمعي، ثم يفيض في الهمس. إننا نسميه إبليس. بل نسميه الشيطان.

يرد عبده الحدق ساخرا: ذلك حتى إذا عاقبني الناس على ما أفعل، أقول لهم إن ذلك العمل من فعل إبليس. سيقولون لك ولكنك فعلته. سأقول لهم إنه حرضني على ارتكاب المعاصي. وهاأنذا أتوب بين أيديكم فلترجموا عني إبليس. وإذا سألوني: أين هو؟ .. أقول لهم إنه لا

يرى ولو أنه يرانا. سوف يشعر ونحن نرجمه، ولو أننا لا نراه. إننا نحتقره ونستهزئ به، ولم نتبع خطاه بعد اليوم. لذلك فهم يبرؤون ساحتي. وماذا لو أن واحدا من الناس استهزأ بك وقال لك إن ما تفكر فيه مضاد للطبيعة لأنك إنما تحاور نفسك، ووصلت إلى قرار سيئ. سأقول له في هذه الحالة: أنت تجدف حتى يقتنع برأي. إن إبليس حق وأنت لست على حق.

يقول أبو حسني ساخرا: أنت بإلغائك وجود إبليس، تلغي وجودنا. من إذن الذي يهمس لك أن تهاجم أنثى وتغتصبها. ومن الذي يدفعك إلى أن تقتل أخاك، وتواري جثته في التراب حتى لا يراك أحد. ومن الذي يدفعك لأن تسرق، وتخفي المسروقات، حتى يأتي الحين وتبرزها على أنها من كدك ومن عرقك؟ .. أليس هو المحرض الأصلي على ذلك؟ ..

يسأل عبده الحدق: أنت تلغي إرادة الإنسان تماما. ولكن إذا سألك أحدهم ولم يحرضنا؟ .. هل بيننا وبينه ثأر .. تقول له .. إنه .. إنه .. أخرجنا من جنة النعيم. كان والدانا في النعيم، فزين لهما الخروج، فلما أخرجهما كرهاه. إذن ليس ثأره نحونا إنما ثأرنا نحوه. إننا أخطأنا في تفسير الفهم. فهو لا يحمل ضغينة نحونا لأنه أخرجنا من الجنة، إنما من يحمل الضغينة هو نحن. لذلك حاول أن تجد ثأرا في نفس إبليس نحونا حتى يغوينا بصفة دائمة، ليكن أن رب العرش أمره بألا يقترب من أبينا وأمنا الأولين، وقد أمرهما أيضا بألا يقتربا منه، فشعر بامتعاض من إعراضهما عنه، وتلصص عليهما ليعرف أسرارهما، ويجعل رب العالمين يغضب عليهما، فماذا فعل؟ .. اكتشف أن رب

العالمين أمرهما بألا يقربا شجرة في الجنة، فتحرى إبليس عن هذه الشجرة، وعرف أنها شجرة تحول الإنسان من كائن خالد إلى كائن فان، فدخل إبليس فيهما وبدأ يحرضهما على أن يأكلا من ثمار هذه الشجرة، فأكلا، وظهرت لهما سوءتهما، فغضب رب العالمين منهما، وطردهما من الجنة جزاء مخالفتهما لأوامره.

ثم يتساءل عبده الحق: لكن كيف يدخل إبليس متخفيا في كل من أبينا وأمنا الأولين؟ ... أليس مثله مثل أبينا وأمنا؟ .. لا .. لنقل إنهما من مادتين مختلفتين. لنقل إن الجدين من تراب وإبليس من النار. وهو نار لا ترى، كالحرارة. هل ترى حرارة الصيف. هل تشعر بحرارة النار؟ .. هل صهد البراكين تراه؟ .. لقد تسلل إليهما حتى بلغ رأسيهما وحرضهما على الفسوق والخروج عن طاعة المولى سبحانه وتعالى.

يرد أبو حسني عليه، ويقول: هذه قصة تختلقها أم حقيقة مؤكدة؟ ..

يرد عبد الحق: هذه قصة طويلة كيف سيصدقها الناس؟ .. إنك كمن يمسك أذنه، فيدير يده حول رأسه من جهة الشمال ليمسك أذنه من جهة اليمين. بدلا من أن نقول إن النفس أمارة بالسوء، وأمارة بالخير. نخترع قصة طويلة عريضة، لنجعل الخير من أنفسنا، والشر من إبليس المحرض الأول على الشر.

ثم يسكت ويستطرد: ولكن إذا قالوا لك إن إبليس دخل في نفس جدينا في وقت واحد. ولنقل إنهما قريبان أحدهما من الآخر. فكيف يدخل الآن في نفوس البشر وقد تعدى عددهم الملايين. فهل إبليس هذا له قدرات خارقة يحيط الأرض كلها ويتسلل إلى كل واحد منا. ويصبح

شغله الشاغل أن يتخلل جسد الطفل والفتى والشاب والشيخ. وجسد النساء والرجال .. ولم لا يتخلل جسد الحيوان والحشرات والطيور. ربما لا يتخللها لأنها غير عاقلة. وربما له أبناء هم الذين يتخللون العقول البشرية. ثم إن أبناءه يتكلمون كل لغات الدنيا لأنهم يهمسون إلى كل البشر في وقت واحد ويحرضونهم على الفسق والفجور.

يمشي أبو حسني غير ملتفت إلى كلامه، ويتلذذ هو بما يقول، فيمضي خلفه وهو يقول: إنك حينما تخترع اختراعا تتمادى فيه. كان من الممكن أن تكتفي بأنك تحاور نفسك. وأنك ارتكبت الخطأ لأن نفسك حرضتك على ذلك. أنت لا تدري لم أخترع الإنسان فكرة إبليس. ذلك حتى لا يكون مسئولا عن أفعاله حينما يحدث الحساب. وهو يرمي كل الأفعال المستهجنة على عاتق إبليس. ولكن ذلك لن يعفيك من العقاب.

قال أبو حسني وهو يفتح باب حجرته: أنت تجدف.

(٣)

نهض عند قرابة الساعة العاشرة، وحمل الفوطة واتجه إلى دورة المياه المشتركة بين أهل الحوش، ودخل على النسوة وهن يغسلن ثياب أولادهن، فغطت النسوة أفخاذهن الظاهرة. وقال لهن وهو يمضي إلى دورة المياه الغارقة بالمياه: ماذا تغطين؟ .. أفخاذ الفقر والتخلف. ضحكن ولكنهن استمررن في غسل الثياب وتغطية أفخاذهن. بينما روحية هانم تقف عند حوض متأففة من القذارة العالقة به. تغسل أسنانها بفرشاة، والنسوة ينظرن إليها من حين لآخر ويتعجبن. وتقول روحية لأم حسني: الفول الذي جئتني به عند الصبح قلب على المواجع.

خرج عبده الحدق من دورة المياه متجها إلى حوض آخر قريب من الحوض الذي تغتسل فيه حورية. ويسألها: سؤال حيرني طول الليل. هل قمت بإلغاء التوكيل الصادر منك لزوجك النصاب.

تصحح كلامه: لم يعد زوجي.

يصحح كلماته: أقصد طليقك النصاب.

قالت: لا .. لقد فاجئني بالأمس بطردي من القصر. وحملت ملابسي وأمتعتي ومجوهراتي ومستنداتي (تنظر النسوة إليها باستغراب) وجئت مع أم حسني إلى هنا ...

يقول وهو يغسل وجهه: سنذهب أولا إلى الشهر العقاري لإلغاء التوكيل. ثم نعود لنكتب العقود.

كانت مستعدة، وهو يخرج من حجرته، تنتظره في ركن ظليل من الحوش. وخرج من حجرته، وقد وضع على رأسه طربوشا أحمر. وسألته ضاحكة: ألم تلغه الدولة؟ .. قال: إنه يجعل الشعر مستريحا خصوصا (ورفع الطربوش عن رأسه) لم يعد هناك إلا شعيرات قليلة متناثرة. ورأت قليلا من الشعر نابتا في قذالته، وشعيرات أخرى في الوسط واقفة كأنها حارس صدرت إليه الأوامر ألا يستريح. وغطى الرأس من جديد، وحمل معه حقيبة، وطلب منها أن توافيه بصورة من التوكيل، وكانت مستعدة فأخرجت الصورة من حقيبة يدها الجلدية الفاخرة. وسألها وهو يتناول منها الصورة: أين أصدرت التوكيل؟ ..

قالت: في الشهر العقاري في وسط البلد.

قال: في وسط البلد .. هكذا .. لن نجد للسيارة مكانا.

سألت: وأين هي السيارة؟ ..

قال: هناك واقفة ..

سألت: أتمزح أم تقول الحق؟ ..

قال: أليس لك سيارة؟ ..

أجابت: أبدا .. استولى عليها هي الأخرى .. جردني من كل شيء.

قال: يا لك من مسكينة. إنه أشبه بالاستعمار البريطاني حينما جثم على رأس مصر. وطفق يأخذ من خيراتها. وأخيرا طرده ناصر. دون أن يأخذ منه ولو جنيها إسترلينيا على سبيل التعويض. بل تركهم يجمدون الأربعة مليون إسترليني في بنوك بريطانيا.

قالت تصحح: أربعمائة مليون يا سيد عبده.

قال: لا أدري .. لأربعة لم لأربعة مائة .. المهم خرج يحمل عصاه على كاهله ورحل وهو يرتدي ثيابه كاملة دون أن ينقص منها حتى البايب.

"يبدو أنك مثقف؟! .."

"أنا أقرأ بنهم .. أو كنت أقرأ بنهم .. وكانت لي صولة وجولة. وكان لي مكتب يعمل كخلية النحل. لكن لساني الذي يرغبون في قطعه أخرني إلى الخلف. طفقوا يطاردونني حتى قفلت المكتب. وصرت كالمحامي المتجول. أتصيد القضايا التي لا أدخل بها المحكمة. أنا أحل المنازعات خارج المحكمة .. مثلما أحل الآن نزاعك.

دخلا معا مكتب الشهر العقاري بعد أن اصطادا سيارة أجرة حملتهما من حي السيدة زينب إلى وسط البلد. وكان يقول لها: لم لا نركب سيارة عامة متجهة إلى التحرير؟ .. قالت: أنا معي نقود. بعت بالأمس بعض ذهبي. لقد أفلت من المجرم ومعي كل مجوهراتي. وكان مشغولا بامرأة أحضرها إلى البيت.

سأل مستغربا: امرأة أحضرها إلى البيت؟ .. إنه إذن يزني في بيت الزوجية.

قالت: كان قد رمى على يمين الطلاق يا أستاذ. قال الرجل وهو يهتز من فرط الانفعال: لم أكن اعرف .. كان من الممكن لو لم يرم هذه اليمين، لكنا قد أثبتنا عليه واقعة الزنا ..

قالت: كان يداعبها فقط. لم يفعلا شيئا أمامي.

قال هامسا حتى لا يسمع سائق السيارة: وهل مثل هذه العمليات تتم في العلن؟ ..

وبعد أن انتهت من إلغاء التوكيل، سألته: هل تناولت فطورك؟ ..

قال: أين سنذهب أنا لم أتناوله بعد.

"في جروبي أو الأمريكيين. إنهما قريبان من هنا".

"كنت أظن أنك تتناولين سندوتش فول في إيزافتش .. نتناوله مع شاي في قهوة الصعايدة المجاورة".

"لا .. لا أستطيع تناول الفول .. إنه يتعب المعدة. تناولت لقمة منه في الصباح فقلب معدتي".

"إن الفول .. يا سيدتي .. أسمنت المعدة".

"ربما لديك .. أما عني فهو قنابل المعدة".

قال لها بعد أن خرجا من مكتب البريد وهما يسيران: الآن بعد أن ألغينا التوكيل وأرسلنا إليه الإلغاء بعلم الوصول .. نبدأ خطواتنا بقوة تزلزله. إن مثل هذا النصاب لابد أن يقهر .. ويركع .. ويطلب المغفرة. لن أتركه إلا وهو يركع يطلب المغفرة".

قالت: عفارم عليك يا أستاذ. أنا أتساءل كيف تعيش بعد أن قفلت مكتبك؟ ..

قال كأنما يستعيد ذكرياته: أصبحت كعمدة أجلس إلى المقهى فيأتي خصمان يطلبان مشورتي. ويدفعان ما فيه القسمة والنصيب. أنا محكمة متنقلة. يعرف الناس ثقب حكمتي وإلمامي بالقانون.

سألته: ولم لا تقلع عن مهاجمة النظام حتى تعيش مستريحا؟ ..

قال: أنا ضد العبودية بأي صورة من الصور. أحب عيشة الحرية مثل الطيور على الأغصان .. لذلك لم أتوقف عن مهاجمة الاستبداد.

والعبودية والظلم. فاضطهدوني حتى قفلت المكتب واشتغلت من خارج السلطة القضائية.

سألته مرة أخرى: كيف كنت تحاربهم؟ ..

قال: كنت أكتب المقالات التي تنشرها صحف المعارضة. وكنت أقف في الناس خطيبا أهاجم هؤلاء المستبدين. فأرادوا أن يحجموا نشاطي فلفقوا لي تهمة الرشوة. فلت منها بأعجوبة، غير أن نقابة المحامين – جزاها الله – فصلتني. كانت تخضع لأوامر القصر. وطلب مني الزملاء بعد ذلك أن أتقدم بطلب جديد بعد قيام الثورة، غير أني رفضت. وفضلت أن أمارس المحاماة وهي الدفاع عن المظلومين من الخارج.

جلسا يتناولان إفطارهما. طلبت كعكة وقدحا من الشاي. وطلب هو بيضتين وقدحا من القهوة. سألته: ألن يضرك البيض وأنت في هذه السن؟ ..

قال: أنا لا يضرني شيء. أنا فوق الضرر يا سيدتي.

ثم عادت تقول: وهذه القهوة تجرف الفيتامينات من الجسم وهي تمر بها.

قال: إذن لا ضرر .. البيض حينما يعمل .. سوف تقوم القهوة بعملها. كل ما سيحدث هو أن المعدة سوف تمتلئ فلا يشكو الإنسان من الجوع. بينما يذهب البيض والقهوة بعد معركة طاحنة خارج الجسم.

قالت: هيا بنا نعود إلى الحوش .. لنقوم بفحص الأوراق التي معي.

(٤)

شاهده أبو حسني واقفا بين المصلين يصلي صلاة الظهر. وتساءل: هل هذا الرجل كافر أم منافق أم مؤمن؟ ..

حينما انتهت الصلاة، ألقى عليه السلام قائلا: السلام عليكم يا أستاذ عبده. قال: وعليكم السلام يا أبا حسني. قال أبو حسني وهو يتفادى أن يسأله لكن السؤال أنطلق رغما عنه: صليت إذن في المسجد؟ .. قال: قلت لك بالأمس أو عند الفجر هذا الصباح أنا حر. استفزه أبو حسني وهو يسأل: أم أنك تخاف النار؟ ..

قال وهو يرى روحية قادمة من بعد الصلاة في مسجد النساء: النار يا أبا حسني تخيف أمثالك. النار رمز من رموز الله. رمز الله لحوار النفس السيئ الذي تسميه وسوسة الشيطان. ورمز الله إلى عقاب المنفذ للفعل السيئ في النار. هل يمكن أن تدلني على نار يدخلها الإنسان، ويشعر بحرقها وأوارها، ويتلظى بنارها، ولا تأتيه سكتة قلبية، ولا يحترق جلده ولحمه ولا يموت. إنما يتجدد الجلد ويعيش اللحم البشري يتألم.

قال أبو حسني: قادر على كل شيء.

قال عبده الحدق: هذه النار لا وجود لها إلا في رؤوسكم. فهي تعمل عمل النار ولكنها ليست نارا. لم نر نارا يتجدد فيها الجلد ليعود

ليحترق ثم يتجدد ويستمر العذاب دون أن نموت. إنها رمـــز للعقـــاب المستمر ليس إلا.

قال أبو حسني: حقا. أسمع كلامك أصدقك وأرى أمورك أستعجب.

جاءت روحية فانقطع الحديث، وقال لها أبو حسني: يـــا سـيدتي. ابحثي لك عن محام آخر. فعبده الحدق حباله طويلة.

سألت: ما معنى حباله طويلة؟ ..

قال أبو حسني: قد يقودك إلى البحر وهناك تغرقيـــن. أو تعوديـــن ولكن عطشى.

قال عبده الحدق متدخلا: أنت يا أبا حسني تقف في طريق رزقي.

قالت روحية: الحقيقة يا أبا حسني ... ارتحت إليـــه. إنـــه يتخـذ الخطوات بدقة.

قال عبده الحدق: أنا أعمل الخير من أجل الخير .. يـــا عـم أبـا حسني. لا أطمع في شيء .. ولا حتى في الجنة.

قال أبو حسني ساخرا: أتظن أنك واردها؟ ..

قال عبده الحدق: ومن قال لك إنني واردها.؟ ..

قال أبو حسني وقد فوجئ بالإجابة: كنت أظن. لعلك تقـــول إنـــها أيضا رمز. مثل الشيطان رمز حوار النفس السيئة مع النفس الحســـنة. ومثل النار رمز العقاب على الأعمال السيئة. ومثل الجنة رمز الثـواب على الأعمال الطيبة.

قال عبده الحدق: عفارم عليك يا أبا حسني. أنت تمشي معي على الخط. وأحب أن أقول لك إنه لا يوجد نار. لأن النار التي وعدنا بها الله لا تشبه النار. فالنار التي تراها تحرق وتقتل وتميت ولا يتجدد فيها لحم ولا جلد ولا يستمر فيها العذاب إلا دقائق. إن النار الأخرى اسمها جهنم أو اسمها الجحيم. أما الجنة فاسمها الفردوس. إنها حلم الإنسان أن يطلب ما يشاء فيجده. إنك في الحلم قد تخاطر بحياتك دون أن تموت وترحل من بلاد إلى بلاد دون أن تتعب. وأنت جالس في مكانك لا تتحرك. وتطلب ما تشاء تجده.

قالت روحية تتدخل: دعونا من هذه المناقشات البيزنطية.

نظر عبده الحدق وهو يسألها بعينيه: وهل هو يعرف شيئا اسمه البيزنطية.

يسأل أبو حسني على الفور: ماذا .. البيز؟ ...

(٥)

أخذ عبده الحدق يقلب في الحجج والوثائق والعقود التي تحظى بها الحقيبة الجلدية الخاصة بروحية ثم نظر إليها وقال: الأراضي والعقارات ليست باسمك يا سيدتي.

قالت: نعم . إنها لازالت باسم والدي جلال ذهني. لقد ورثتها عنه. ويوجد لديك إعلام شرعي أن روحية هي البنت الوحيدة لجلال ذهني ولها نصف التركة. وأن عمي له الباقي تعصيبا. كما أن لديك في الأوراق أنني دفعت ضريبتي التركات والأيلولة.

سألها: ولم لم تنقلي الملكية باسمك.

قالت: كسل.

قال: هذا على العموم في صالحنا. معنى ذلك أن طليقك النصاب لم يسجل العقارات والأراضي باسمه بعد. وجد عقبة في طريقه هي أن ليس لديه وكالة من جلال ذهني بالتصرف والبيع. اكتفى فقط بإعلانك أنه باع كل العقارات والأطيان لنفسه بمقتضى التوكيل العام الصادر منك إليه. في هذه الحالة سوف نعمل عقودا ببيع كل شيء لي بمبالغ زهيدة حتى لا نغرم كثيرا من رسوم الشهر العقاري. وفي نفس الوقت أبيع لك العقارات والأطيان بعقد جديد. ونقوم بتسجيل عقود البيع الخاصة بي. وتبقى معك عقود البيع إليك كوثيقة عرفية تثبتين بها

حقك حينما يؤثر على الشيطان - كما يقول أبو حسني - ويجعلني أخون الأمانة.

تسأل: الشيطان؟ ! ..

يقول: أقول ذلك متذكرا أبا حسني وأنا أنكر عليه الشيطان، وأقول إن في النفس ازدواجا. واحد يحث الإنسان على طريق الشر. وآخر يحثه على طريق الخير. فإذا ارتكب الإنسان شرا فذلك يدل على أن النفس السيئة تغلبت. وإذا ارتكب خيرا فذلك يدل على أن النفس الطيبة تغلبت. ولكنه يؤكد أن الشيطان هو الذي وسوس بالشر. وأنا أقول إنها النفس الأمارة بالسوء هي التي دفعته.

قالت روحية زاهقة من الفلسفة: على العموم اكتب العقود. وغدا نذهب إلى الشهر العقاري لتسجيلها.

وقال: وهل معك حسبة عشرة آلاف جنيه رسوم التسجيل بالشهر العقاري.

قالت روحية: إن مجوهراتي وذهبي وحدها التي أخذتها معي دون أن يلتفت النصاب إليها .. أكثر من مائة ألف جنيه.

قال وهو يستخرج أوراقا من حقيبة جلدية قديمة العهد: على بركة الله.

ثم أردف: سوف أكتب لك حق السكنى في قصرك حتى إذا دخلته معك لا يتمكن الكلب من الاعتراض. وحتى تتركي هذا المأوى القذر.

سألت: وكيف يعترض وأنت معي صاحب كل العقارات؟ ..

قال: أقصد أن الأمر لن يكون ظاهرا والظاهر هو أنني كتبت معك تلك العقود قبل التوكيل وقبل الزواج وأعطيتك سكنى القصر لذلك كنت تقيمين فيه طول هذه المدة. فذلك تمويه على شبهة الصورية لو طعن بالصورية. أريد أن أوصل لك حقوقك كاملة. سوف نصرف قليلا ثم نكسب الكثير. وإياك بعد ذلك أن تحرري توكيلا عاما لأحد.

ونادى عبده الحدق على كل من أبي حسني وأبي محمود، بعد أن فرغ من كتابة العقود، وطلب منهما التوقيع على العقود العرفية كشاهدين. قال أبو حسني: هل نوقع على شيء لم نقرأه؟.

قال عبده الحدق متأففا: أقرأه يا سيدي كأني سوف أغش السيدة روحية.

قال أبو حسني ليغيظه: ربما .. وربما لن تغشها. ولكن أقرأ حتى إذا ذهبت إلى القاضي يقول لي بماذا تشهد أقول له إنني وقعت كشاهد على عقد به كذا وكذا وكذا ..

قال عبده الحدق: ما شاء الله .. ثلاث من كذا.

قالت روحية وقد زهقت من الكلام الفارغ: أقرأ يا عم أبا حسني. واسمعنا ما تقرأه. ربما أجد اعتراضا على صيغة معينة.

قال عبده الحدق وهو لا يزال جالسا على الأرض وأمامه طبلية، تلك التي كتب عليها: أنا لا أخطئ أبدا.

قال أبو حسنى: جل من لا يسهو. وطفق عبده الحدق يقرأ، ودخلت أم حسني عليهم، وقررت أن تعد لهم شايا، وخرجت وجاءت بعد مدة تحمل صينية عليها خمسة أكواب مملوءة بالشاي. تناول عبده

الحدق كوبا وهو يقول: انظري يا سيدتي الفرق بين رقـــة أم حســـني ورقة أبي حسنى فرق شاسع.

قال أبو حسني: تقصد صفاقة أبي حسني.

قال عبده ساخرا: العفو يا رجل. رقة ولكن من نوع خاص. جعـــل الله أيامك كلها رقة. وأعاد إليكما حسني سالما.

سألت روحية: أين ذهب حسني؟ ..

قالت أم حسني: إنه سافر إلى دولة عربية ليعمل هناك.

سألت: ألم يجد عملا في مصر؟ ..

قال عبده الحدق ردا عليها: يوجد في مصر عمل. ولكن الأجـــور منخفضة. لا تفتح بيتا. لقد عرض علي أن أعمل هناك محاميا لكنـــي رفضت.

سألت روحية: ولم رفضت؟ ..

قال: أكسب هنا أكثر من هناك.

ضحكوا جميعا فيما عدا عبده الحدق الذي كان يستغرب ضحكهم.

(٦)

استيقظت عند الفجر على أنين طفل، ونحيب امرأة. خرجت من حجرتها تستطلع الأمر، وجدت في الحجرة المجاورة امرأة تضع طفلها في حجرها، يئن، وقد وضعت يدها على خدها، وطفقت تنتحب، وكأنها ندابة في مأتم.

"ماذا حدث؟ .."

"الولد قد ارتفعت سخونته. ويتقيأ ويسهل. ماذا أفعل؟ .. لا أعرف."

"ولم لا تأخذينه إلى المستشفى؟ .."

"من أين؟ .."

"ألا يوجد مستشفيات مجانية بالقرب من هنا؟ .."

"ربما في الحوض المرصود ولكنها بعيدة".

دخلت تستعجل نفسها أن ترتدي ملابسها وخرجت إليها، وهي تساءل نفسها: هل لو كنت أنجبت له هل كان سيستمر في النصب علي؟ .. وكانت تحمل في يدها حقيبة يدها كما هي عادتها، وأخذت الطفل في أحضانها وجرت به تلحقها المرأة. كانت تتمنى أن يكون لها أطفال يتمتعون بثروتها وتحنو عليهم، فتزوجت طفلا تمتع بها وبالثروة وحرمها منها ومنهم! .. ماذا أفعل يا ربي؟ .. هذا نصيبي. وجرت في الشوارع المبلطة بالحجر، كأنها تريد أن تنقذ الطفل من الموت، والمرأة تجري وراءها، تريد اللحاق بها قبل أن تتلقفه يد الموت، أو

لعلها خائفة أن تسرقه منها. وشاهدت في الطريق لافتة مستوصف. زعقت المرأة فيها وهي تحاول أن تدخل المستوصف: ذلك بفلوس.

قالت بإباء: ليس لك دعوة أنت.

دخلا المستوصف، ووجدت طبيبا فتيا يجلس ينتظر الرزق. دفعت إليه بالولد وقالت: عالج ذلك الطفل. يبدو أنه مريض بنزلة شعبية.

وفي الحال أسرع الطبيب بفحص الطفل، وأمر الممرضة التي كانت تتثاوم أن تستعد بالمحاليل، ودفع لروحية بتذكرة طبية يطالبها بشراء دواء للطفل، سألته: أين الصيدلية؟ .. قال: بالقرب من هنا عند شارع السد .. مفتوحة طوال أربع وعشرين ساعة. قالت المرأة أم الطفل: أنا أعرفها .. تعالي معي.

ثم قالت: ربما تكون الأدوية غالية .. هل معك نقود؟

قالت بكبرياء: ليس لك أنت دعوة.

وجرت في شارع السيدة زينب حتى بلغت ناصية شارع السد، وهناك وجدت الصيدلية مفتوحة أبوابها، ودخلتها لتطلب الدواء. والمرأة كالعبد المطيع تجري وراءها. جاءت فقط لتشير إليها على الصيدلية، وقلبها يتحرق شوقا للبقاء بجانب طفلها. وقفت تنتظر تجهيز الدواء، وقلبها يأكلها على الطفل. غير أنها تقنع نفسها من حين لآخر بأنه في أيدي أمينة.

دفعت روحية ثمن الدواء، والمرأة أم الطفل مشدوهة بسبب ما فرطت فيه من نقود. وصارت تجري عائدة إلى المستوصف.

قال الطبيب: الحمد لله .. لقد أنقذت الولد فهو يعاني من الجفاف نتيجة التقيؤ والإسهال.

سألت: كم تريد يا دكتور؟ ..

أعطاها ورقة وهو يقول: ادفعي في خزينة المستوصف .. أنا لا أتسلم نقودا.

رمقت الطبيب، وطفقت تتأمله. وهي تقول لنفسها: ألم يكن من الأوفق أن أتزوج مثل هذا الحسن والجمال والعلم. من أن ارتبط بهذا الأفاق النصاب المتأنق؟ .. بماذا أعجبت به؟ .. رقته وكلماته المعسولة ووجاهته. الأفضل يا روحية إن استمررت عانسا من أن تتزوجي وتضيع ثروتك. كانت منافسة بين العنوسة دون متعة والزواج مع المتعة. احتلت المتعة فؤادي وجرفتني إلى ذلك النصاب.

قالت: سأترك معه أمه .. لأن لدي مشاغل كثيرة.

قال الطبيب وهي تتفحصه:

كيف لهذه الجوهرة أن تعيش بين سكك حي السيدة زينب المتربة؟ .. كم فيك يا زمن من الأعاجيب.

وجدت عبده الحدق ينتظرها، ويقول لها على الفور:

"أين كنت؟ .."

قالت: المسكينة لم تكن تعرف ماذا تفعل بطفلها المريض فأخذته إلى مستوصف قريب.

قال متجاهلا ما قالت: هيا بنا نلحق الشهر العقاري قبل أن يقفل.

هناك أبرزت بطاقتها الشخصية وإثبات الوراثة وإبراء ذمتها من الضرائب، وحجج الأراضي وبدأ مأمور الشهر يعقد العقود. ونقل مأمور الشهر العقاري الملكية من روحية جلال ذهني إلى عبده الحدق المحامي، ودفعت رسوم نقل الملكية وقالت وهي تدفع الرسوم: كان عليك أن تدفع هذه الرسوم .. ألست من آلت إليه الملكية؟ .. قال: ومن

أين ادفع؟ .. أنا يا مولاي كما خلقتني. ثم لا تنسي أن لديك عقود الضد موقعة بشاهدين بأن الملكية لا تزال في يدك.

قالت تسأل: أليس من حقي الآن طرده من القصر والسكنى فيه؟ ..

قال عبده الحدق: انتظري .. حتى أجرده من كل ما ملكه. ثم نبدأ في تطويق الطوق حوله ونجره منه خارج الممتلكات.

ثم قال مستطردا: بعد أن ننتهي من نقل ملكية القصر .. علينا نقل ملكية العقارات ثم نقل ملكية الأطيان.

قالت: يا خوفي لو أنك استوليت على كل ذلك ولم تعده إلي؟ ..

قال: يا هانم. عبده الحدق لا يفعل ذلك ثم ماذا يضيرك؟ .. ألم يستول النصاب طليقك على كل ما تملكين؟ .. وأنت الآن لا تملكين شيئا. ثم هناك ورقة ضد تجعلك تستردين كل أموالك إذا شئت وعلى الفور بمقتضى أمر المحكمة.

قالت: إن المحاكم حبالها طويلة يا أستاذ عبده.

قال ضاحكا: لا تهتمي سوف أذهب إلى المحكمة معك وأقر بأنك المالكة. وإنني تنازلت عن كل ما أملك لك.

ولما انتهت إجراءات نقل ملكية العقارات، قال لها: سوف يفاجئ بأن كل ما خطط له فشل فشلا ذريعا. ثم قال : غدا نذهب معا إلى الشهر العقاري بإمبابة لنقل ملكية الأراضي الزراعية الواقعة في أوسيم. فالوقت قد وصل إلى الواحدة والنصف بعد الظهر. ولن نجد مكتب الشهر العقاري مفتوحا.

قالت: وهو كذلك يا سعادة المليونير.

قال: أتسخرين. أنا فعلا مليونير. المليونير هو من لا يمد يده طالبا السؤال. وأنا لا أتكفف أيادي الناس.

(٧)

مرت روحية على المستوصف، ومعها عبده الحدق ليستطلعا حال الطفل، وجدا المرأة تضع يدها على خدها، تنتظر شفاء طفلها. والطفل في حجرة انتظار قد وضعت في يده أبر المحاليل، وسألت روحية: كيف هو الآن؟ ..

قالت الأم، وهي تمد يدها تخطف يد روحية، تحاول أن تقبلها، غير أنها تشد يدها منها بسرعة، والمرأة تقول: لن أنسى جميلك هذا أبدا. غير أن روحية تربت عليها وهي تتساءل: ما هذا الذي تحاولين فعله؟ ..

جاء طبيب آخر، مبتسم دائما. سألته روحية: ما حال الطفل يا دكتور؟ .. قال: عال .. والحرارة انخفضت. وكف عن القيء والإسهال. يحتاج إلى راحة وغذاء ومواعيد منتظمة للدواء. سألت: هل سنأخذه الآن؟ .. قال: لا مانع بعد نصف ساعة.

حملت المرأة طفلها، وعادوا جميعا إلى الحوش. ولما حاولت المرأة أن تأخذ طفلها، شدته روحية منها، وقالت : اتركيه أرعاه حتى يجري على قدميه. والطفل بين يدي أمه ضعيفا متخاذلا فقد كلت قواه. وتركته المرأة دون مجادلة. ودخلت روحية حجرتها وهي تهدهده. لو كنت تزوجت منذ زمن، لكان طفلي الآن سنه أربعة عشر عاما. وتركها عبده الحدق، وقال لها: إلى اللقاء في الغد.

وطفقت روحية تعطي الطفل الدواء السائل بانتظام كل أربع ساعات. والمرأة لا تريد أن تدخل حجرة روحية خوفا من بطشها. فقد كانت عصبية معها. وجاءت أم حسني تساعد روحية في غسل ملابس الطفل. والمرأة لا تجرؤ أن تدخل عليها لتقوم بهذه المهمة، كل عملها هو الانتظار خارج الحجرة. وتركت روحية أم حسني لتستحم، فهي تستحم في الصباح كما هي عادتها، وأجلت استحمامها لحين عودتها من الشهر العقاري. ودخلت الحمامات تحاول أن تنتقي حماما صالحا فلا تجد. ووجدت الحمام الثالث مقفلا، فهاجت وهي تقول: لمن هذا الحمام؟

قالت النسوة اللاتي يغسلن ملابس أطفالهن: هذا خاص بالأستاذ عبده الحدق. سألتهن: وكيف خصصه لنفسه. قالت امرأة: عنوة واقتدارا. قالت للمرأة التي تكلمت: أذهبي إليه. وأتيني بمفتاح الحمام على الفور.

قالت: وهل سيعطيه لي؟ ..

قالت: قولي له إنه لمدام روحية.

قالت المرأة ساخرة: حاضر يا أفندم.

وجاءت المرأة بمفتاح قفل الباب، وفتحته فوجدت روحية الحمام مختلفا فعلا عن بقية الحمامات: نظيف، بلاطه يلمع، دشه سليم، لا تقطر من صنابيره المياه بلا ضابط كالحمامات الأخرى. دخلت لتستحم. ووجدت مشابك أسندت إليها ملابسها المتسخة والبشكير الذي حملته معها. وبدأت تتأمل جسدها وهي عارية وتتساءل: ما في هذا

الجسد من عيب حتى يغدر بي ذلك الأفاق؟ .. فتنت به وبحديثه الشهي وظننته مخلصا لكن قلبه كالحجر .. هل كنت ساذجة حينما انقدت وراء كلماته المعسولة. وفجأة حينما ينال كل شيء ينقلب وحشا كاسرا. تعرفت به في النادي فسحرني. ولم أسأل عن أصله وفصله. ولم أسأل وهو يغدق المال على من يساوي ومن لا يساوي. ويركب سيارة فاخرة ويرتدي ثيابا أنيقة مستوردة غالية هكذا النصابون يا مغفلة. حقا قالها المحامي حكمة إن القانون لا يحمي المغفلين. هكذا قالها المحامي الذي لجأت إليه قبل عبده الحدق. لم يتعمق في الأوراق مثل هذا الرجل الطويل العريض. ويكتشف أن العقارات والأطيان لا زالت باسم والدي. وأنه يمكن تسجيلها على الفور لآخر. ومسجل الأرض مقدم على من بيعت الأرض له بعقد عرفي. ولسوف يطعن عبده الحدق في تصرفات إكرامي طليقي .. على أنها خيانة للأمانة ولا يعتد بها. هكذا يقول عبده الحدق الذي لا يكف عن الثرثرة.

خرجت من الحمام، وكان الماء باردا فشعرت برعشة، وأخذت تنتفض حتى بلغت حجرتها، وهي تغطي فقط جسدها بالبشكير الطويل، وتحمل ملابسها المتسخة. وأمرت المرأة أن تقفل باب الحمام وتعيد المفتاح إلى الأستاذ.

وفي الطريق، رأت أطفالا لا يتجاوزون العاشرة يلعبون في الفناء الواسع كرة القدم. سألت أحدهم وهو يجري بالقرب منها: ألا تذهبون إلى المدارس؟ ..

قال الولد وهو يجري: نحن الآن في إجازة. ولن نذهب إلى المدرسة اعتبارا من العام القادم.

وكاد يبتعد عنها، غير أنها أمسكت به وقالت لـــه: عندمـــا أكلمـــك تكلمني. لا تجر بعيدا عني.

خاف الولد من بطشها به، فقال على الفور: حاضر.

ثم سألت بعد أن عدلت من البشكير حتى لا يظهر إهاب صدرهـــا الأبيض: لم لا تريد أن تذهب إلى المدرسة؟ ..

قال: أبي يقول إن ليس معه نقود لنذهب إلى المدرسة.

أشارت إلى حجرتها وهي تقول: أذهب إلى أبيك وقل له أن يـــأتي لأناقشه.

قال: إن أبي يعمل الآن.

قالت: ليس مهما الآن. حينما يأتي .. دعني أكلمه.

قال الولد وهو يحاول أن يفلت منها ويجري وراء الكرة: حـــاضر. وجرى الولد، ليلحق بالفتيان الآخرين الذين يلعبون معه الكرة.

خرجت أم حسني وهي تحمل الطفل وتقول: يـــا نـــهار يـــا ســـيدة روحية. ألم يكن واجبا أن تخطريني حتى أحمل لـــك ملابســـك. إلـــى الحمام. وآخذ المتسخة.

قالت ساخرة: وهل هذا حمام. إن الماء الساخن معدوم فيه.

قالت: كان يجب عليك أن تطلبي أن أسخن لك الماء في الحمام.

سألت مستغربة: ولم لا تدخلون بوتاجاز أو سخان بالكهرباء.

قالت أم حسني: ومن معه فلوس حتى يفعل ذلك؟ ..

قالت: أليس الأستاذ عبده الحدق معه؟ ..

قالت: إنه رجل على باب الله يا سيدتي .. يكسب يوما ويخسر عشرة.

قالت: إذن هيا بنا ندخل الحجرة حتى لا أصاب بالبرد.

أخذت المرأة تدلك لها جسدها البض، وتسرح لها شعرها الناعم، وتساعدها على ارتداء ملابسها. وتقارن بين بشرتها السمراء المتغضنة، وبشرة روحية البيضاء الناعمة. وتساءلت: هل ستشمخ بأنفها حينما تسترد أموالها أم أنها ستتعلم هنا التواضع. تذكرت زوجها وهو يقول لها إن سيدتك تبدو كالأليت بك الذي تنشر نكته في الأخبار. والفرق بينهما أنه رجل وهي امرأة.

(٨)

منذ حادثة النصب عليها، وهي لا تتمكن من النوم بأمـــان، القلــق يطاردها بأنيابه السوداء. والأرق يهاجمها كأنها عصفور فـــي مـهب الريح، يقاوم دون جدوى. وتذكرت الطبيب الشاب في المســـتوصف، فهفت نفسها إليه. ونهضت وارتدت ملابسها في الغسق، وطفقت تمـــد في الطريق المبلط الضيق، آخذة سمتها إلـــى المســـتوصف. وهنـــاك وجدته ينتظر أن يأتيه مريض عند الفجر، كأنه طبيب مجند للحـــالات الطارئة التي تحدث من الليل حتى الضحى .. سألها: بماذا تشــكين؟ .. قالت: لا أنام. أرق مستمر يا دكتور. تأملته: سماته باهرة. أسمر اللون لكن وجهه نحاسي لامع. عيناه سوداوان. وقلبه أبيض مثل الرداء الذي يرتديه. ابتسامته جذابة ترقد على شفتين حادتين حمراوين. ســـأل: هل من حوادث رهيبة حدثت لك في الفترة السابقة؟ ...

قالت ضاحكة كأنما تستهين بالحوادث. وهي تقـــول: نصـــب ثـم طلاق. وطرد من الممتلكات.

قال: أحكي لي حكايتك. إذا رويت الحكاية فسوف تهدأ نفسك كثيرا.

سألت: هل أنت طبيب نفساني يا دكتور. قال: أنا ممارس عـــام .. أعرف في كل الأمراض.

قالت: تزوجت رجلا .. نصب علي من خلال توكيل حررته لـــه. وسرق أموالي. وطلقني. وطردني من أملاكي بحجة أنها آلت إليه.

تساءل: أهناك رجال بهذه السفالة؟ ..

ثم قال: هل لي أن أكشف على صدرك وقلبك.

رآه أبيض ناصع البياض كأن الشمس لم تلمسه أبدا وتحوله إلى خمري اللون. حاولت أن ترى تأثير روعة الصدر على عينيه. غير أنه كان جامدا. هكذا الأطباء ينظرون إلى المرضى على انهم حالات. فتنتها لم تؤثر فيه. ونظر في حلقها وقاس نبضها وقاس ضغطها. وإلى أذنيها تطرق. وقال: لا توجد أي أمراض عضوية. سوف أكتب لك عن مهدئ ولكن استعمليه عند اللزوم فقط.

كانت تشبك أزرار قميصها، وهي ترمقه، تحاول أن تكتشف تأثير جمالها عليه. كأنه يسأل لم طلقها ذلك المغفل وهي جميلة؟ .. يبدو أنه يعبد القرش أكثر مما يعبد الجمال. .. ألم يكن من المناسب أن يتمتع بهذا الجمال والثروة أم أنها النفس البشرية التي جبلت على الأنانية تريد الثروة أولا وليذهب الجمال إلى الجحيم.

شكرته وانصرفت. يده كبيرة ذابت يدها الصغيرة فيها. وانصرفت وقد شعرت براحة. تريد أن تبقى فترة أطول لكنه مشغول بحالات تقابله. ولم يفكر أن يطلب منها موعدا للقاء. ولكنه لو كان سألها لما ترددت. ربما لأنك أصبحت الآن فقيرة يا روحية. لا تجذبين الفقراء.

عادت روحية إلى الحوش، ووجدت أبا محمود يطرق بابها. سألته: ماذا تريد يا عم أبا محمود؟ ..

قال: الولد ابني قال لي إنك تريدين مقابلتي.

قالت: أنت والد ذلك الصبي الذي يلعب الكرة في الفناء بالأمس.

قال: نعم .. أنا.

سألته: ولم تريد أن تفصله عن المدرسة يا عم أبا محمود؟ ..

قال: المال غير كاف يا سيدتي للتعليم.

سألت: وهل تدفع نقودا؟ .. إن التعليم بالمجان.

قال: نعم بالمجان. لكن هناك رسوم لابد من دفعها. وهناك أكل وملبس ومأوى. ألا يجدر به أن يشارك في تسديد المصاريف الباهظة التي تثقل كاهلنا.

قالت: اسمع يا عم أبا محمود. لا أريد أن أسمع أنك أخرجت الولد من المدرسة. ومصاريف الولد علي. لا أريد أن تحرمه من التعليم. إذا حرمنا كل أبنائنا على طريقتك فلن يتقدم البلد أبداً. سوف نبقى محلك سر. بل ربما نتقهقر إلى الخلف.

قال: أمرك يا سيدتي.

وأخرجت عشرة جنيهات وأعطتها له، وهي تقول: بداية من الآن مصاريف محمود علي.

قاطعها وهو يقول: لكن أنت يا مدام قد نصب عليك كما فهمت.

قالت: لكن الأستاذ عبده الحدق سوف يعيد لي كل الثروة.

مد يده وأخذ الجنيهات العشرة وهو يقول: ربنا يعمر بيتك يا مدام.

في قصرها لم تكن تختلط بالفقراء. كانت حياتها فارغة. من النوم إلى النادي إلى النوم. وتأتيها الأموال من أرضها الزراعية كل سنة. ومن عماراتها كل شهر. تستقبل خولي زراعتها سنويا. وتستقبل

محصل إيجارات العمارات كل شهر. لم تكن تشعر بمسئولية عن أحد. أما الآن فقد اكتشفت أنها لا تعيش وحدها. وأن عليـــها أن تـــأخذ بيـــد هؤلاء الفقراء. ولكن إذا فشل يا روحية عبده الحـــدق فـــي اســـترداد أموالك؟ .. وإذا نصب عليك هو الآخر بعد أن استرد أموالك؟ .. لا .. إن معي عقد الضد. ولكن حبال المحاكم طويلة قد تمتد سنوات. حينئـــذ لن تجدي مليما تدفعينه لنفسك أو لهؤلاء الفقراء. لا .. إن مجوهراتـــي تكفي وتزيد. أنا لا آكل كثيرا. وما لدي من لبـــس يكفينـــي. وهـــاهي الحجرة تؤويني .. كل ما علي هـــو ألا أفـــترش الأرض. واشـــترى سريرا أنام عليه. كيف لم أفكر في شراء سرير حتـــى الآن؟ .. وهـــل مضى علي هنا إلا ثلاثة أيام؟ ..

(٩)

أخذت الطريق إلى أوسيم، بلاد الأجداد، كان أريـــج الخضـــراوات يأتي عبر نافذة السيارة المفتوحة. ويركب معها عبده الحـــدق، يتطلـــع إلى الحقول الخضراء. وهي تفكر: عما قريب ســـوف تظـــهر أرض الأجداد، أرض الأجداد التي تفتتت بين الأبناء، وعـــادت تتفتــت بيــن الأحفاد، ولم يحاولوا أن يتجمعوا أو يزيدوها أو يضيفوا إليـــها، ربمـــا لأن القوانين الحاكمة كانت تحول دون ذلك. وهاهو عبده الحدق يعيدها إليها بعد أن ذهبت إلى الشهر العقاري في أمبابـــة، وأبـــرزت حجـــة الأرض، ونقل مأمور الشهر ملكية الأرض من روحية جـــلال ذهنـــي إلى عبده الحدق. وهناك عقد عرفي بنقلها من عبده إلى روحيـــة لـــم يظهر بعد ولن يظهر إلا في الوقت المناسب. ولا يدري مأمور الشـــهر العقاري أن إكرامي زين الدين نقل الملكية منها إلى نفسه، ولم يســتطع أن يسجلها لأنه وجدها لا تزال في عصمة الأبناء. فكيف يقنع الأحفـــاد بالتنازل عنها؟ .. اكتفى بأن قال إن الأرض أصبحت ملكا لي بمقتضى عقد عرفي باع فيه الموكل الأرض للوكيل. وصار كل شيء له. وهـو الآن سادر في غيه. لا يدري أن البساط سحب من تحت قدميه.

فوجئ عبده الحدق أن الجرافات تستعد لتجريف الأرض وبيعها إلى مصانع الطوب. كان إكرامي زين الدين يريد أن يخفي جريمته فبـــاع الطمي إلى أصحاب مصانع الطوب الأحمر في وراق العرب بـــآلاف

الجنيهات. وجاء سعيد قدورة يطلب من السيدة روحية أن تبتعد عن الأرض لأنها لم تعد تملك فيها شيئا. وسعيد قدورة ذلك هو ناظر ضيعتها كان يوصل الأموال إليها عاما بعد آخر بعد أن يبيع محصول الأرض. وأبرز عبده الحدق العقد المسجل ببيع الأرض له. فاضطرب الرجل. وأصبح بين سندان اسمه العقد العرفي ومطرقة اسمها العقد الرسمي. حاول أن يعترض لكن عبده الحدق لجأ إلى الشرطة بنقطة أوسيم. ومكنته من الأرض بناء على العقد الرسمي المسجل. وروحية تبدو أنها انتصرت ولو أنها تذكر نفسها أن عبده الحدق هو الذي انتصر. لكن يا روحية أنت في جيبك عقد عرفي آخر يعيد الأرض إليك. لكن لا يجوز إظهاره في الوقت الحالي حتى تستقر الأمور.

طرد عبده الحدق سائقي الجرافات. وطرد سعيد قدورة من الأرض. ومن البيت الملحق بالأرض. وقابله عم روحية المقيم بالبلدة صدفة في الطريق، وهو يسير مهموما، وهو ذاهب إلى بيته القديم، سأله: مالك؟ ..

قال: طردني مالك أرض السيدة روحية جلال ذهني الجديد. قال: ألم تقل إنها باعت الأرض منذ أسبوعين وأنه عينك ناظرا عليها. هل هذا هو الذي طردك؟ ..

قال: لا .. إنه مالك اسمه عبده الحدق، وليس إكرامي زين الدين. سأله مستغربا: هل عبده الحدق اشترى من إكرامي؟ .. قال: لا .. بل اشترى من السيدة روحية رأسا. سأل: كيف ذلك وقد باعت الأرض لإكرامي هل باعتها مرة أخرى؟ ..

قال: لا .. يا سيد صالح .. في المرة الأولى لم تبع إنما باع إكرامي لنفسه بمقتضى توكيل. وفي المرة الثانية باعت السيدة روحية رأسا إلى عبده الحدق وسجلت له في الشهر العقاري.

قال: فهمت. وهل جاءت روحية معه. قال وهو لا يزال مهموما: نعم .. هي هناك.

احتضن صالح ذهني روحية بشوق وقال: بنت أخي الهاربة. قالت: أنا لم أهرب يا عمي بل طردت من أملاكي. قال: نتيجة قلة عقل منك .. تتصرفين دون مشورة أحد. ليس لك كبير.

قالت: إنها غلطة يا عمي. أصلحها السيد عبده الحدق المحامي. جعلني استرد كل أموالي.

قدم صالح ذهني يده الصغيرة ليد عبده الحدق ليصافحه. غرقت اليد الأولى في الثانية. يد عملاق كبير احتوت يد قزم صغير. العملاق ملأ وجهه ابتسامة عريضة. والقزم بادله الابتسام بفم صغير. وقامت إحدى نساء الخفراء بتقديم الشاي. وجاء لونه أسود. ردته روحية وقالت بكبرياء: أريده خفيفا. تساءلت المرأة: يعني فينو. قالت وهي لا تفهم لغتها: خفيف .. أقول خفيفا .. تقول: على ماء أبيض. تقول روحية بغضب سريع زاهقة من الكلام مع المرأة: نعم .. على ماء أبيض. وانصرفت المرأة تعد الشاي على هوى روحية. بينما يمد عبده الحدق يده ليتناول كوب الشاي الغامق. ويمد صالح ذهني يده يتناول الكوب الآخر. ويعطيه في نفس الوقت لضابط نقطة أوسيم ثم يتناول الكوب الثالث. ويترك الكوب الرابع لمساعد الضابط.

ستأذن الضابط بعد أن مكن عبده الحدق من الضيعة. يصافحه عبده الحدق بحرارة.

يطلب سعيد قدورة المالك القديم للأرض إكرامي زين الدين في قصره في مصر الجديدة هاتفيا. يقول له: الأرض ضاعت يا سعادة البيك. يسأل إكرامي باستغراب: كيف ضاعت؟ ..

يقول سعيد كأنما فقد عزيزا عليه: روحية هانم جلال ذهني .. نقلت ملكيتها إلى محامي ضليع اسمه عبده الحدق. استولى على الأرض بمقتضى عقد رسمي مسجل وعاونه ضابط نقطة أوسيم على استلامها.

يسأل إكرامي: كيف تم ذلك؟ ..

يقول سعيد شارحا: معه عقد مسجل .. أما أنت فكان معك عقد عرفي .. والمسجل مقدم على العرفي.

يسأل: وماذا فعلت في التجريف؟ ..

يقول سعيد: هبطا علينا كالقضاء المستعجل وصرفا سائقي الجرافات إلى غير عودة.

يقول إكرامي وهو ينهي المكالمة: يا للخسارة.

بينما يهنئ روحية عمها وينصرف. تلتفت روحية إلى عبده الحدق وتقول: لولاك لكنت ضعت تماما.

قال: لا تخافي ما دمت معي. سألت: بما أكافئك.

قال بسرعة: نتزوج.

(١٠)

سألته: هل نتزوج وأنا لا زلت في العدة؟ ..

قال: كم مضى عليك حتى الآن؟ ..

قالت: ربما أسبوع .. أو أقل من أسبوع.

قال: إذن فلا يجوز أن تظهري أمام طليقك، وتطالبيه بشـــيء. وإلا قام بردك إلى عصمته لأنه طلقك طلاقا رجعيا على ما يبدو. فيمكنـــه نكاية فيك أن يردك إلى عصمته، ويبدأ في استرداد ما تنازلت عنـــه. كل ما أريده أن تستكملي الشهور الثلاثة شهور العدة. ولا تظهري فـــي الوقت الحالي. والآن علينا أن نختار ناظرا لإدارة الضيعة.

قالت روحية على الفور: لا يوجـــد إلا عمـــي. أســـند إليـــه إدارة الضيعة.

قال: وهو كذلك. نذهب ونتغدى عنده. ونكتب معـــه عقـــد الإدارة. لكن لا نسميه ناظر الضيعة إنما نسميه مدير الضيعة.

وعند عمها تغديا بطا وأرزا ولحما وسلاطة. وطفق عبده الحـــدق يعبئ من كل صنف في جوفه كأنه لم يـــأكل مـــن قبـــل مثـــل هـــذه الأصناف. وروحية تأكل بقدر مما يدل على أنها عافت هذه الأصناف. وتفكر كيف ستكون زوجا لهذا الرجل. والحلم البازغ في الغسق أيتـــم وأده؟ .. حلمها أن تكون بين ذراعي ذلك الطبيب في المستوصف هـــل يموت؟ .. تتزوج رجلا يكبرها بحوالي عشرين عاما؟ .. ربما الطبيب

لا يقبل أن يتزوجك. ولو كان أنشغل بك لطلب منك أن تأتي للاستشارة بعد أيام. لم يذكر لك ميعاد للاستشارة. لا يجوز يا روحية أن تتزلقي تحت ركبتي رجل. ثم هذا الحدق أعاد إليك كل ثروتك. ألا يكون من نكران الجميل أن ترفضيه؟ ..

نامت عند عمها .. مع زوجة عمها.

ونام عبده الحدق في الضيعة. حتى الآن هي ضيعته. وغدا ستكون صاحبة الضيعة الحقيقية في حضنه. لم يفكر في النساء طويلا كان مشغولا بجهاده السياسي. حتى أن أصحاب القصرين تربصا به. قصر عابدين وقصر الدوبارة. كرهه الملك لأنه يطالبه جهرا بالتنازل عن العرش لصالح الشعب. وكرهه الإنجليز لأنه يطالب بمغادرتهم للبلاد في الحال. ووقفا الاثنان ضده. طارده الملك حتى تمكن من أن يفصله من نقابة المحامين. وطارده الإنجليز من خلال البوليس السياسي حتى قبع في ذلك الحوش في حي السيدة زينب. واختفى عن الأنظار وصار يعمل في السر. وأخذ يتلقط رزقه بمصالحة الخصوم خارج المحكمة. واشتهر بين الناس أنه حكم عدل. ولكن الآن سوف يضع يده على ثروة يستطيع أن يناهض بها الاعوجاج فهو لا يرتاح لحكم ناصر لأن في تصرفاته استبدادا، وهو عدو الاستبداد. سيكون معه المال الذي يقصم ظهر الطغيان. الإنسان يسعى وراء السلطة ليتمكن من إشباع رغبة قهر الناس وخضوعهم له. والإنسان يسعى وراء المال ليتمكن من التميز بين الناس. وهو يسعى وراءه للقضاء على الاستبداد. والإنسان يسعى وراء الشهرة حتى يتمكن من الوصول إلى العظمة والمال دون تعب. ولكن المال يمكن أن يحول دون وصول الإرهاق

إليه ولا أهمية للشهرة. جاء موعد المال حتى تتمكن من القضاء على الاستبداد. سوف أجعل روحية خاتما في إصبعي. سوف أتمكن بمالها من تكوين خلايا سرية وأصرف عليها وأتمكن من أن اقتلع ذلك الناصر وأجعل الناس لا تنصره.

تذكر أن درويش أبا النفحات صديقه الذي طلب منه أن يعمل معه في مكتب المحاماة، وكان ذلك المكتب منفذا إلى الشهرة، ومن ثم طريقا إلى المال. غير أنه اعتذر. ودرويش هذا يلعب بالبيضة والحجر. أنف منه لأنه لا يحب النصب على خلق الله. لكن الآن سوف يوجهه وجهة أخرى سيتركه يلعب بالبيضة على السلطة وبالحجر على الناس. ويضرب الناس بالسلطة فيقومون باقتلاعها. سوف يقوم درويش بتعبئة الناس ضد السلطة وهو وراء الستار يحركه بأموال روحية. تلك الأموال التي سأضع يدي عليها وأتصرف فيها شاءت روحية أو رفضت.

(١١)

فوجئ إلهامي زين الدين - بعد ثلاثة شهور من الاستيلاء على الضيعة - بأن القصر الذي استولى عليه بالخداع يضيع منه. أحاط القصر نفر من الشرطة. وتقدم عبده الحدق، رجل ذو طربوش طويل عريض، يبدو غير حليق اللحية أو الشارب، أو كان قد حلقهما ونبتتا في غمضه عين، بجانبه ضابط برتبة نقيب، ضابط من ضباط الشرطة، يأمره بإخلاء المبنى لأنه آل للسيد عبده الحدق المحامي. يريد استرداده بمقتضى عقد مسجل في الشهر العقاري. يعترض إكرامي زين الدين ويقول: إن هذا القصر اشتريته من صاحبته زوجتي السابقة. يسأل الضابط: أين ما يثبت ذلك؟ .. يجري إلهامي زين الدين إلى داخل القصر. يحمل أوراقه، وراقصة عشيقة إكرامي تغطي جسدها العاري بملاءة، ويأتي إكرامي بعقد عرفي، يقول الضابط: هذا عقد عرفي لا يعتد به. لو كان العقد مع السيد عبده الحدق عقدا عرفيا لقلت لك فلتبق في مكانك وعلى المتضرر اللجوء للقضاء لكن الثابت أنه عقد مسجل. ولو أن تاريخه بعد العقد العرفي. ومع السيد عبده الحدق عقدا عرفيا أيضا يدل على أن القصر بيع له قبل تحرير عقدك. عليك أنت أن تلجأ للقضاء تطالب المالكة السابقة بتعويضك لأنها باعت لك البيت وهو مباع. يتدخل عبده الحدق بصوته الجهوري: إنها لم تبع شيئا. لقد خان أمانة التوكيل العام الذي حررته له السيدة روحية جلال

ذهني وباع العقار لنفسه. مع أنها بمقتضى عقد عرفي سابق على هـذا العقد باعت القصر لي وهو سابق عليه بشهور. وكانت تسكن فيه لأنها اشترطت الاحتفاظ بحق السكنى. ولو أنه سألها لقالت لـه إن القصـر مباع.

أبرز عبده الحدق العقد، وهو يواصل كلامه كأنه أمام محكمة يدافـع عن موكلته: كان قد تأجل التسجيل لأنها تزوجـت وكـانت تريـد أن تؤجل التسجيل رغبة في إبقاء القصر باسمها ولكن لمـا خانـها ذلـك النصاب قامت بتسجيل العقد على الفور.

قال إكرامي محتجا: أنا لم أخن الأمانة هي التي قالت لـي اشـتر القصر يا إكرامي ... قاطعه عبده الحدق: وأودعت ثمنه في حسـابها الجاري. فأين هو ثمنه يا خائن الأمانة؟ .. قال إكرامي: سلها. أنـا لا أعرف أين بددته. قال عبده الحدق: مادام لا تعرف فالجأ إلى القضـاء كما قال لك الضابط. وأخلي المكان لصاحبه.

أسرعت الراقصة ترتدي ثيابها، وتحمل حقيبتها، ودخـل إكرامـي حجرة نومه، ووضع ملابسه في حقيبة، وانصرف وهو يسأل: وهـذا الأثاث؟ ..

قال عبده الحدق: مكتوب عقد به أنه بيع لي أيضا. هل لديـك مـا يثبت أنك اشتريت شيئا. إذا كان لديك ما يثبت فأبرزه لي وأنا أعطيـك إياه على الفور. ولا تخرج تأتي بفاتورة وتدعي أشياء لك فيـه. قـال إكرامي محتجا: لم اكن أشتري بفواتير. قال عبده الحدق: إنه من حـق مطلقتك إذن. وانتهى الأمر. ليس لك شيء عندي.

انصرف إكرامي والراقصة ذليلين. والضابط يمد يده ويصافح عبده الحدق. وهو ينظر إليه بكبرياء ويقول في سره: يا مسكين كنت تظن أن الدنيا آلت إليك. ولم تكن تعرف أن العقرب لا يلدغ العفريت فمهما لعب بذنبه فالعفريت شبح يرى ولا يتجسم فلن يطول الذنب جسده أبدا.

تمدد عبده على كنبة مذهبة في مدخل القصر، وخلع حذاءه، وقال: والآن أستطيع أن استريح، فالقصر قصري، والأرض أرضي، والعقارات عقاراتي. أستطيع إذن أن أحرر البلد من ربقة الاستبداد وروحية لا تدري شيئا لأنها لا تثق بي. وسوف تؤول مقاليد الحكم لي بعد فترة من الوقت هي فترة العدة، أما وقد انقضت فاليوم أزف لها.

هل سيقوم برفع قضية ذلك الإكرامي؟ .. لا أعتقد إنه عقرب أعمى لا يدري ما أمامه. سوف يرتعد من وجود محام جهبذ مثلي. ربما يستفيد من آلاف الجنيهات التي قبضها من أصحاب مصانع الطوب. بعد شراء طينها منه. هم يطاردونه الآن في المحكمة. هم ذئاب تنهش في جسم الأرض. وهو ثعلب لعب على المسكينة روحية. أما أنا فنمر طارد الذئاب وطرد الثعلب وقطع ذنب العقرب وآلت إلي المملكة كاملة.

فتح الباب، ليرى أمامه روحية، تقف بجانبها حقيبتاها. حقيبة ملابسها وحقيبة وثائقها. ووراء روحية وقفت أم حسني خادمها المطيعة. قال عبده الحدق غاضبا: ألم أقل لك أن تختفي عن الأنظار حتى تنتهي العدة.

قالت: لقد انتهت. وقلت لنفسي أن أختفي في قصري يا عبـــده يـــا حدق. لا تنس أن لي حق السكنى في القصر.

قال عبده الحدق متخاذلا: وإذا أعادك إلى عصمته.

قالت: يمكن أن يعيدني إلى عصمته حتى لو لم يرني. ولكن المـــدة انتهت ولم يفكر في ذلك.

قال وهو يجلس إلى كرسي قريب وهو يقول في يأس: فـــي هـــذه الحالة لك حق.

شعرت بعودة الحرية إليها، لما حملت حقيبة أوراقها، وبجانبـــها أم حسني تحمل حقيبة ملابسها. لقد كانت فترة من الوقت كبيسة .. الحمـد لله أنها مرت بلا أضرار.

(١٢)

هل أنت ضعيفة أمام الرجال؟ .. كيف سلمت ذقنك لـــهذا المحــامي الأفاق؟ .. صرت تأتمنينه على كل مالك مادمت تتممين بالنعيم والــهناء؟ .. أصبح يصرف أموالك في مصبات سرية لا تعرفينها. يجــاريك فــي عمل الخير، فيرفع من شأن سكان الحوش الذين لم تنسي أن تســاعديهم. وتساعدي أولادهم على التعليم، وتساعديهم في دفع مصاريف علاجــهم، وتساعدي العمال الزراعيين من قرية أوسيم. ماذا يريد بـــالضبط؟ .. لا تعرفين. رشح نفسه، وبعثر أموالا كثيرة على الدعاية ذات اليميــن وذات الشمال. وانضم إلى الاتحاد الاشتراكي رغم أنه يعارضـــه ســـراً حتـــى يدخل مجلس الأمة. وصار صوته الصارخ المجلل يرتفع فـــي جنبــات مجلس الأمة. وصار كل أسبوع يقدم استجوابات ضد الوزراء. في الســر فقط كان ينتقد جمال عبد الناصر، وفي العلن لم يكن ينطق بكلمة مديـــح أو بعبارة فيها ذم فيه. كان كما يقول المثل في جرة وطلع لبره. أموالـــك يا روحية ليست لك إنما لأزواجك. وأنت لا تستطيعين أن تقفي ضدهــم. ضعيفة أنت هزيلة. أنت لا شيء.

سألت نفسها: لم تزوجت ذلك الرجل؟ .. وهل أنا تزوجته؟ .. لقـــد فرض علي نفسه ولكنك قبلت. لم تثوري. خفـــت أن تضيـــع أموالـــي وعقاراتي وأرضي. إن له حيلاً كثيرة لا أعرفها. ثم هـــو يمكـــن أن يمزق العقد العرفي وتبقى الأملاك كلها في قبضته. ويطردنـــي مثلمـــا

طردني إكرامي من قصري. أتجنب أن أواجهه وأنا قليلة الحيلة. قلت أتمسكن حتى أتمكن. ولكنه فرض إرادته علي. وصار يتصرف في أموالي كأنه المالك الأصلي لها. وأنا لا حول لي ولا قوة. لم يطردني من قصري إنما يدعي أنه رفع رأسي، وهو يبقيني في القصر معززة مكرمة. ويدور هو في الدائرة الانتخابية يخطب ود الناس، ويجاهر بصوته الجهوري ضد الوزراء وكأنه ملك الدنيا. والله أعلم ماذا يفعل في السر؟ ..

أما عبده الحدق فكانت له وجهة نظر أخرى. كان يعتبر نفسه أنه أنقذ روحية من براثن النصاب إكرامي زين الدين. وأن مكافأته هي أن يتمتع بثروتها. وهو لن يتمتع بها بغية ملذات الدنيا، فهو زاهد في الملذات. هو يريد أن يحرر الوطن من الاستبداد. وسوف يهب أموالها للجهاد ضد الاستبداد. تقول عنه إنه مختل العقل ولكن له غاية لن يهدأ حتى يحققها. وخير لمالها أن يصرف في وجوه الجهاد في سبيل الحق السرمدي من أن يصرف في وجوه المتعة الزائلة.

وهي تقول إنها تخلصت من نصب إكرامي وهاهو الخداع أو النصب يعود بثوب جديد اسمه عبده الحدق المحامي. متى تتخلص منه كما تخلصت من إكرامي زين الدين؟ .. لا أمل. لن يمضي بعيدا عنها إلا إذا مات أو قتلته. وهل تجرؤ على أن تقتله. إنها لا تتمكن من أن تسفك دم دجاجة. والغريب أنها تحس أنه مخادع وأناني يعمل من أجل نفسه لكنها انضوت تحت جناحيه برضاها.

جاء درويش أبو النفحات يطلب مقابلة عضو مجلس الأمة المتمرد. أخبرته أم حسني أنه يغط في نوم عميق. طلب منها أن تلقـــي علـــى مسمعه أن درويش أبو النفحات بالباب. وما كادت تلقي عليــه الاســم حتى قفز من الفراش. وروحية أمام المرآة تتزين .. لــم تـتزينين؟ .. إنها تلون خديها وتحمر شفتيها وتكحل عينيها لتبدو أمام عينيها جميلــة لأنها تعيش مع رجل ليس همه غير السياسة. ولما ارتدى ثيابه علـــى عجل دون أن يغسل وجهه، تعثر وهو يخرج من الحجـــرة. وقـــررت روحية أن ترى ذلك الرجل الذي انتفض عبده الحدق لما سمع اسمه.

استقبله بالترحاب. هو يعرف درويش أبو النفحات جيدا. درويـــش عضو مجلس أمة مثله عن دائرة الحسين. محامي مثله ولكنه مســـجل بالنقابة. لطالما كافح الاستعمار الإنجليزي مثلـــه لكـــن كـــان يكـــافح بالديناميت، كان عبده الحدق يجاهد بالكلمات. وفتح لـــه أبـــواب بيتـــه وأبواب مكتبه غير أن عبده الحدق لم يكن يريد أن يرتبـــط بصـــاحب بيت أو صاحب مكتب.

شق درويش أبو النفحات طريقه السياسي مع رجال الثورة. واصبح منهم. يزين لهم الطريق. وصارت له صولة وجولة. فزهد عبده الحدق في لقائه. وعاد للتلاقي لما اصبح عبده الحدق داخل المجلس يصـــول ويجول.

صافحه بحرارة، وهو يقول له: أهلا بك في بيتي. ويذكر نفسه فـــي الحال إنه ليس في بيته لأنه تنازل عنه عرفيا لروحية قبـــل أن تنتقـــل ملكيته إليه.

بعد أن شرب الشاي، وأكل من الحلوى المقدمة إليه، قال: سمعت أنك تنوي أن تتقدم باستجواب بشأن حرب يونيه وخسائرنا في الأفراد والمعدات وأسباب هذه الانتكاسة. والعلاج الناجع للخروج منها.

قال عبده ضاحكا: كأنك تحيطني بالجواسيس يا معالي النائب.

ضحك درويش وقال: ليس بهذه الدرجة. إنما جئت إليك ناصحا ألا تفكر. ليس الآن وقت الاستجواب في حالة الحرب. إنما وقت العمل للعودة إلى الجهاد.

ضحك عبده الحدق وقال: جهاد .. أين هو الجهاد؟ .. جهاد ست ساعات يا مولاي! ..

قال درويش: سوف يكون موقفك محرجا أمام أهل دائرتك. حينما يجدون أنك قدمت استجوابا وتم قتله. لن يرى النور يا عبده.

قال: كيف؟ ..

قال: سوف يرفضه رئيس المجلس أو سوف يعلن عنه لكنه سوف يؤجل .. ويؤجل .. إلى أن تنتهي الدورة البرلمانية وبعدها لن تدخل البرلمان من جديد.

قال بإصرار: سأجدده.

قال: سيحدث نفس ما حدث. وحينما ترشح نفسك مرة أخرى لن تدخل المجلس. أنت ما دخلت المجلس إلا مجاملة للمعارضة. أو حتى يقال إن لدينا معارضة.

حينما كان عبده الحدق يرد، دخلت روحية عليهما، فانقطع الكلام. وعرفها به: درويش أبو النفحات. أستاذي. وزميل الكفاح. وزميل المجلس.

صافحته وهي تتأمله غارقا في مشاهدة محاسنها وفتنتها الطاغيــــة. أصلع الشعر. شعره الباقي أسود يدب فيه الشيب. ليس كبير السن مثــل عبده الحدق. عيناه سوداوان واسعتان. فيه سمات زنجية تبدو مرســومة على شفتيه المكتنزتين. طويل القامة مثل عبده الحدق. لكنه ليس بدينــا مثله. ولم يبق درويش طويلا واستأذن.

سألته: لم جاء ذلك الرجل؟ ..

قال: يطلب مني أن أسحب استجوابا تقدمت به بشأن الحرب.

سألت: وما أسبابه؟ ..

قال: أسباب واهية. يبعثرون النقود أموال الدولة في كل الاتجاهات، ولا يريدون لأحد أن يسألهم عن أسباب هذه البعثرة. يساعدون الثـــوار في كل مكان والفلاح والعامل المصريان أحق بالمساعدة. كأن المـــال مال أبيهم.

قالت: لا يختلفون عنك.

ارتبك لجرأتها وسأل: كيف؟ ..

قالت: أنت تبعثر في أموالي. ولا تريد أن أسألك عنها، كأن المـــال مال أبيك.

قال بصوت جهوري: أنا لا أسمح لك.

قالت وقد فاض بها الكيل: تسمح أو لا تســـمح. الحقيقــة أنــك لا تختلف عن إكرامي. لقد سرقني بخيانــــة الأمانـــة. وأنـــت تســرقني بالقانون. زعمت أنك سوف تسترد أموالي، فابتلعتها.

قال عبده الحدق: ماذا تقولين؟ .. لقد أعدت إليك ثروتك المنهوبة بالكامل رجعت إليك قصرك. وعادت إليك عقاراتك وأطيانك. هل ستخسرين لو أخذت منك بعض النقود لأحقق لهذا الشعب المظلوم شيئا من الكرامة.

قالت: أنت تهدر كرامته. أنت تفقده عزته. لأنك قدوة غير حسنة. مستبد في بيتك. ومسرف من أموال غيرك. وأهوج لا تعرف كيف تخاطب الناس. تظن أنك السيد وهم العبيد.

قال منسحبا: أنا لن أتكلم معك بعد اليوم. أنت تتهمينني بأشياء ليست في .. إنني سأعود إلى حجرتي في حوش السيدة زينب. ولن أعود مرة أخرى إلى قصرك.

قالت ساخرة: ما الفرق بينك وبين من تناصبه العداء. هو أيضا أراد أن يتنحى بعد الوكسة. وأنت الآن بعد أن جردتني من أموالي السائلة تريد أن تنسحب. المهم أنك تنتقده ولا تنتقد نفسك.

قال: أفهم من ذلك أنك لا تريدين أن أذهب.

قالت: أفهم ما تفهم. المهم أنني أذكرك أنك استوليت على إيراد أموالي وأملاكي. وصرفته في معركتك الانتخابية. والآن تريد أن تتنصل من مسئوليتك وعن رد الأموال إلى أصحابها. ماذا تريد؟ .. تريدني أن أخرج إلى الشارع أتسول. أو أذهب إلى عمي أشكو له سوء إدارتك لأملاكي فيعطيني حسنة. لقد خدعت فيك مثلما خدعت في إكرامي. كل ما تفترق فيه عنه أنك جئت بثوب جديد. كان إكرامي نصابا. وأنت لا تختلف عنه ولكن تبدو في صورة بطل.

(١٣)

فوجئت روحية بعد اختفاء عبده الحدق من القصر، أن درويش أبـو النفحات جاء يسأل عنه، ولم يكن وحده، كان معه ثلة من الأصدقـــاء، وتساءلت بينها وبين نفسها: كل هؤلاء يريدون أن ينصبوا علـــي مـــن جديد. هل يأتي المخادعون جملة؟ ..

كانت عزة نفس وكرامة عبده الحدق قد وجعته، لما اتهمته بالنصب والخداع، وزعق فيها إنه من المجاهدين، وترك القصر، ولم يأخذ معـه غير ملابسه. وهناك في حجرته القديمة اختفى. بل لم يعد يذهب إلـــى مجلس الأمة لحضور الجلسات، ولم يقدم الاستجواب الذي كان يظـــن أن الحكومة ترتعد من الإشارة إلى تقديمه، وقال قولته المشهورة لأبـي حسني، يوم أن التقيا: خيرا تعمل شرا تلقى.

زهد عبده الحدق في الدنيا الغادرة حتـــى أن أم حســـني قـــالت لأبـــي حسني: إنه مات. قال مستغربا: كيف ذلك يا امرأة وهو لا يـــزال يـــأكل ويشرب ويخرج مستترا بالليل لشراء طعام اليوم القادم. قالت: الميت مـــن يعتزل الحياة. قال أبو حسني: لك حق. أنا لم أعد أراه في الجامع. علـــى العموم أنا أعرف عنه أنه يدعي الإيمان وهـــو لا يؤمـــن. كـــان يصلـــي الصلوات الخمس ويمس معتقداتنا بسوء. ينكر وجود الشيطان، ويدعي أنـــه رمز من رموز الله لحوار النفس البشرية المزدوجة دائما. وينكـــر النـــار والجنة. قالت أم حسني: إنه لا ينكر يا أبا حسني. كان يستنكر أن تســـمى

جهنم نارا مع أنها نار من نوع خاص. والجنة هي الفردوس وهي سعادة من نوع خاص. هكذا سمعته يتكلم مع السيدة روحية وهي لا تلتفت إلى كلامه، فكأنه كلام في الهواء لا يشجي سامعه.

قال أبو حسني: الحمد لله أنه أعتزل الدنيا. كان له صوت كالرعد. ولسان كالسوط. وأعمال مفاجئة قد تضر أكثر مما تنفع.

قالت أم حسني: لا .. يا أبا حسني .. الرجل كان طيبا ويعمل الخير. ولكنه لا يعمله في أهله. وسوف يبقى خيره إلى الأبد باقيا في أنفسنا.

قال أبو حسني ساخرا: قولي جاثما على أنفسنا.

قالت أم حسني مستنكرة: وهل ذلك يعد خيرا؟ ! ..

استغربت أم حسني أن السيدة روحية لم تعد تتذكره. إنما تتذكر السيد درويش أبو النفحات، كأنما مسح درويش كل الذكريات المتعلقة بعبده الحدق. ودخل في حياتها بعمق بعد أن وصلتها ورقة طلاقها من عبده الحدق. كان يعاملها كقطعة أثاث في الدار، أو كأنها مصدر من مصادر المال. ودرويش يعاملها كسيدة جميلة راقية. أنقذها في البداية من الديون، تلك الديون التي وجدت روحية أنها مدينة بها بسبب معاملات عبده الحدق. ومصاريفه السرية. وكانت توقع على القروض بدلا منه وهو يقبض قيمة القرض ويتصرف فيه. ولم تعرف أين صرف هذه الأموال الباهظة في هذه الشهور المحدودة التي قضاها معها. كان يصرفها على ما سماه الجهاد. الناس تجاهد بقواها وما تملك حسب تعليماته، وهو يجاهد بالكلمات. لقد استطاع درويش أن يحصل لها على قرض سدد كل الديون ووحدها أمام مصرف واحد

على أن يقسط على شهور. ويمتد إلى فترات طويلة بضمان ما لديـــها من أرض وعقارات. واستمر العم يدير الأرض، ويعطيها الإيراد فـــي يدها، وكان يعطيه لعبده الحدق فيتصـــرف فيـــه. تســـدد بـــه دينـــها، وتصرف منه في بحبحة على نفسها.

ووعدها أن يبني لها أبراجا في المدن الجديدة. لا تدري كيف تسـلل إلى قلبها خلسة، ورقد على صدرها ولم تشعر بألم. إنه – كما أدركـــت – نوع من النصابين. إنه يعيش على حساب الضحية ولكن لا يتركـــها تغرق كما تركها عبده الحدق.

أصابها الغرور بعض الوقت، حينما تنافس خمسة رجال على الفوز بها. خمسة من المعجبين صاروا يطاردونـــها. ويريـــدون أن يفعلـــوا المستحيل من أجلها. يبدو أنك فعلا جميلة وجذابة يا روحية. ألا تريـــن عينيك الواسعتين. وصدرك المكتنز. وإهابك الأبيض. أنت ولـــو أنـــك تنحدرين من أصول قروية، غير أن دماء الأتراك والمماليك والشركس تجري في دمائك. ولكنها كانت تتطلع بينها وبين نفســـها إلـــى رجـــل أختاره قلبها. لا يزال يعمل طبيبا في مستوصف شعبي بحـــي السـيدة زينب. كلما داهمتها الأنفلونزا أو الزكام أو الصداع، هرعـــت إليـــه. حاولت أن تستلفت نظره إليها لكنه كان يقوم بواجبه فحسب. جـــاولت أن تفهمه أنها غنية وما تأتي إلى هذا المستوصف الفقير إلا طمعا فـــي رؤيته. غير أن ثراءها لم يثر لعابه ويجعله يجري وراءها. وأدركـــت أنها تحب بلا أمل. وأن رجلها الذي تريد أن تختاره لن يختارها، لذلـــك تعود إلى بيتها شاعرة باليأس. وهي تدرك أن لا مناص مـــن اختيـــار واحد من الخمسة الذين يحيطونها.

كان أولهم ذلك الضابط الذي كان مكلفا بمراقبة زوجها السابق واسمه عوني، وبدلا من أن يراقب الزوج سقط طريح هوى الزوجة. وثانيهما ضابط بالجيش وليس بالشرطة يسكن بالقرب منها، وتلتصق فيلته الموروثة عن أبيه بقصرها. طفق الشوق يدغدغ حواسه إليها، حتى أنه تجرأ وأسقط كرة في حديقة القصر الخاص بها، وهو يعلم أنها تتناول الإفطار في الحديقة، وجاء يطلب السماح لالتقاط الكرة، وطال حديثه معها. وتحدث كثيرا عن حرب الاستنزاف التي بدأت بين مصر وإسرائيل، وكان عبده الحدق ينتقدها بشدة. وقرر الضابط أنها مضيعة للأموال، وأن حظ الشعب أن أمواله ليست له إنما للشعوب الأخرى التي لا تعترف بالجميل. أو للهواء حيث يطيرها الرؤساء كما يطيرون دخان سجائرهم. لكن الضابط عاد يقول، إن حرب الاستنزاف ضرورية، لأن الشعب اليهودي لن يفيق من انتهاك حقوق الغير إلا إذا رأى جثث أبنائه تخضب رمال سيناء. يتناقض في كلامه من أجل إطالة الحديث.

والعاشق الثالث كان مذيع التلفاز الذي جاء ليجري حديثا مع عضو المعارضة عبده الحدق، فلما لم يجده أجرى الحديث مع زوجه. ولو أنه لم يقم بإذاعته لا في الإذاعة ولا في التلفاز. وحاول عاصم – وهذا هو اسمه – أن يقنع روحية أن تتقدم لتكون مذيعة فصوتها حلو ناعم، سوف يفقد المشاهدين أو المستمعين لرشدهم، ولن يفيقوا من خمره أبدا. وصدقت روحية أنها من الممكن أن تكون مذيعة حقا، فانكبت على الكتب تقرأها. وتحاول أن تبحث عن أستاذ يعلمها الإلقاء. وكان المعلم هو النصاب الرابع. وكان الخامس هو درويش أبو النفحات. واستطاع درويش أن يكشف زيفهم جميعا، فضابط الشرطة هو جاسوس من جواسيس السلطة جاء يتنصت على عبده الحدق، فأراد أن

يستغل الوضع وينصب الشباك حول سيدة القصر. وضابط الجيش يسعى للسيطرة عليها ويلتف حواليها من أجل أموالها. والمذيع التلفزيوني أصابه الغرور فظن أنه يمكن أن يوحي إلى امرأة بلا شهادات بأنها ستكون نجمة، مع أن الوصول إلى النجومية ليس بالأمر السهل. والمعلم الملقن هو مبتز آخر في صورة المتفاني في خدمة العلم. أما درويش فقد ظهر أمامها بمظهر المضحي بكل وقته وكل أيامه، وكل أمواله، من أجلها. فارتضته زوجا بعد أن وفت عدتها. ولم يحاول عبده الحدق أن يراجعها من جديد. وكانت ستقاوم إذا عاد مرة أخرى يطلب ودها. ولم تلتق به إلا مرة واحدة، يوم أن ذهبا معا إلى الشهر العقاري لإعادة عقاراتها وقصرها وأرضها إليها. ثم أختفى بعد ذلك وطلقها غيابيا.

دخلت عهد درويش، وقد شعرت بغبطة جديدة. لم تشعر بها من قبل. فقد سافر بها إلى الخارج. كان مبعوثا مع وفد من مجلس الأمة لزيارة الجمعية الوطنية في باريس، فاصطحبها معه. وتركها تتصرف في أموال دون أن يمسها. وطفق هو يصرف من المال الذي نفحته له الدولة. واصطحبها إلى الإسكندرية صيفا والغردقة شتاء. وتمنى لو صحبها إلى شرم الشيخ لكنها كانت في القبضة الإسرائيلية. وكان يؤمن أن شرم الشيخ سوف يتحرر كل رمالها من هذه القبضة يوما. وكانت تتنهد وتقول: متى؟ .. يقول بإخلاص: قريبا .. بإذن الله.

لكن درويش لم يكن زوجا وفيا. كان يريد أن يتمتع بأقصى ما يمكن التمتع به. وكان لا يكتفي بمليونيرة واحدة إنما مد نفوذه إلى اكثر من مليونيرة، يريد منهن أن يغدقن عليه. ولا أهمية أن تكون المرأة

متزوجة أو مطلقة أو أرملة. أما الأنثى التي لم تتزوج بعد فلا يجري وراءها لأنها عادة لا تكون مالكة لشيء. وغالبا ما تكون صغيرة السن ولم تتمكن من أموالها لو كان لها أموال. وعادة ما تكون الأموال لا تزال في قبضة والدها أو أن الأموال لا تزال تحت الوصاية، أو أن لا أموال لها، فلماذا يجري وراءها؟ ..

أدركت روحية ذلك بعد فوات سنة كاملة على زواجها. وقررت أن تتخلص منه. كان ساحرا في الحديث، وفي الفراش، ولكنها كانت على قدر من الأنانية لا تحب بسببها أن تشاركها أخرى في زوجها أو أن تفقد أموالها. وتطلع درويش إلى المتع على حساب زوجه. وكان يمضها ذلك التصرف.

قررت روحية أن تتخلص من درويش بتحويل حياته معها إلى جحيم. وتمنت له الموت حتى تتخلص منه دون إراقة دماء أو صراع طويل. وتطوع أحد أعضاء الجماعات المتطرفة بتحقيق أمنيتها. وأفاقت يوما على خبر مصرع درويش أبو النفحات برصاص إرهابي عنيد. ونقلت جثته مضرجة بالدماء إلى قصرها، وخرجت الجنازة من مسجد عمر مكرم بعد يوم، يمشي وراءها أعضاء مجلس الأمة. وتستغرب روحية أنها صرخت وانتحبت وسالت الدموع من عينيها. ولم تعرف أنها تبكي العشرة التعيسة التي انقضت. وبينها وبين نفسها شيعت القتيل النصاب بقلب لا حزن فيه. إذن ماذا كان البكاء والنحيب يعني غير الحزن! .. ربما كانت تنصب هي الأخرى على الناس فتظهر بمظهر الأرملة الحزينة.

(١٤)

لم يستغرق الوقت الذي قضته مع إكرامي خمسة عشر شهرا، وانقضى بخيانته. ولم يستغرق إلا سنة ونصف مع عبده الحدق إلا وانتهى بسبب تشبثه بعزة نفسه، ولكن مع درويش لم يمض سنة إلا وكان طريح القبر، فأفلتت منه بلا تخطيط سابق. والآن قررت بينها وبين نفسها أن تختار هي الزوج الذي يناسبها. واشتاقت للأطفال كما تشتاق أي امرأة، فمن يرث هذه الثروة عنها؟ .. أولاد عمها. ورأت أن تختبر عواطف الطبيب في مستوصف حي السيدة زينب. مرة أخرى وأخيرة غير أنها لم تجده. وجدت آخر حل بدلا منه، أما هو فقد ودع المستوصف إلى غير رجعة، إذ تم اختياره طبيبا في مستوصف بجدة. وقارنت بين الطبيب الجديد وعرفت أن اسمه زكي، فهل هو زكي أي طاهر بالفعل أم أنه ذكي أي أنه نصاب جديد؟ .. لا يعمل طول الوقت في المستوصف لأنه يعمل مدرسا في كلية الطب. وما قام بعمله هذا ابتغاء زيادة ماله إنما مرضاة لفقراء الحي. فهو واحد منهم سكن معهم واندمج فيهم. سألته وهو يكشف عليها: هل أنت متزوج؟ ..

قال: تزوجت ثلاث مرات غير أن الزيجات الثلاث فشلت كلها.

قالت: وهي تعري صدرها ليعرف أثر الكحة التي تملكتها على رئتيها. وتفاجئ بعينيه جاحظتين من أثر بياضها الناصع كأنه لم ير امرأة بيضاء من قبل. وراح يقول: المرة الأولى طلقت امرأتي الأولى

بسبب أنها كانت تريد ألا أواصل دراساتي العليا وأبدأ في جمع المـال، وأتفرغ لعيادة خاصة. وقامت بيننا المشاكل فطلقتها. والمـرة الثانيـة طلقت زوجتي الثانية بسبب أنها غير مقتنعة أن مهنة الطب تأخذ أغلب وقتي، وأن لا وقت لدي لتمتع بها. والمرة الثالثة طلقت الزوجة الثالثـة بسبب جهلها. كنت أظن أن المرأة الأمية طوع زوجها، غـير أنني كشفت أنها وبال عليه. وأحسست منها حب سيطرة غريب فسـرحتها قبل أن تستفحل الحالة. ثم سألها: وأنت؟ ..

قالت: أنا مثلك تزوجت مرات ثلاث. المرة الأولى خـان زوجـي الأمانة. وبلع كل ما لدي إلا القليل. وطردني من قصـري. والمـرة الثانية لم يختلف الثاني عن الأول إلا في الأسلوب، إذ استرد لي كـل أموالي وحجزها عنده، وطفق يتصرف فيها بمعرفتـه واصبـح هـو المتصرف الوحيد فيها، وأنا صفر على الشمال، ولما واجهته بأن هـذا لا يصح طلقني. والمرة الثالثة كان طامعا في ثروتي لكن لم يكن لديـه مانع أن يتمتع بها معي، ولكن بشرط ألا يبعثر أمواله الخاصة، ونظـرا لأنه منافق، يلعب على كل الحبال، قتله المتطرفون إنقاذا للبـلاد مـن نفاقه على حد قول المتطرفين .. وتحررت منه.

وسألت نفسها لم تقول له إنها ثرية؟ .. هل تريد أن تجذبه؟ ..

سألها: هل توافقين على لم الشامي على المغربي؟

وكان قد انتهى من الكشف عليها، وراحت تنسق ثيابها، وهي تقول: لا أفهمك.

قال: أنا وحيد وأنت وحيدة. هل أنجبت من أزواجك؟ ..

قالت: لا .. لم أنجب.

قال: إذن نتزوج.

قالت: هكذا دون أن أتعرف عليك.

قال: وماله .. نتعرف.

تفحصته فهو مقبول شكلا. وهي لا مانع لديها من أن يستفيد من أموالها ولكن ليس إلى درجة الاستغلال.

قالت: إذا كنت تريد أن تخطبني فعليك بمقابلة عمي.

قال: أين؟ ..

قالت: في بلد قريب من القاهرة أو الجيزة اسمه أوسيم حيث يقيم.

قال: نبدأ بخطبة. وإذا ما انسجمنا نبدأ في اتخاذ إجراءات الزواج.

وتمنت وهي تخرج من المستوصف أن يكون زوجها القادم ذلك الطبيب الذي غادر المستوصف. ولكن ما باليد حيلة، ذهب ولن يعود. ولكن كيف تقبلينه يا غادة مصر الجديدة، وجمالك لم يؤثر فيه ولم يتعلق بك، أو يجري خلفك. هكذا الدنيا نحب فيها ولكن المحبوب لا يبادلنا الحب.

وعند العم اتضح لروحية أن عريسها لا يملك إلا شهادته العالية الجامعية. وأن شقته لا تليق بمستواها، ورفض العم أن يزوجها إياه متوجسا أن يكون طامعا في ثروتها. ولما وجد أن عيني بنت أخيه تكاد تفيض بالدموع وترغبان في ذلك الرجل. قال: لدي حل لمشكلتكم. أنا أوافق على الزواج بشرط أن تكون العصمة في يد ابنة أخي. وألا تطلب منها توكيلا عاما في شراء وبيع أملاكها. إدارة جائز ولكن ابتعد

عن التوكيل العام. وأن تستمر الخطبة فترة ليست قصيرة ولا طويلة. وكان العم يتكلم وهو يدرك أن الخداع جاء متخفيا في ثوب جديد ثم تساءل: فما رأيكما؟ ..

قال الطبيب: أما العصمة فهي لها ولي في نفس الوقت. أما إدارة أملاكها فأنا لا أفهم في الإدارة. ولا مانع أن تكون الخطبة لا قصيرة ولا طويلة .. وإذا ما انسجمنا فلا مانع من الزواج أو فليذهب كل واحد منا في طريقه.

الرياض في ١٥ / ٥ / ٢٠٠٠